

روايات مصرجة الحبيب



43

أسطورة تختلف...!

ما وراء الطبيعة



ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية الجيب

أسطورة تختلف ..!

كلا .. لن تكون هناك اليوم
قلاع مسكونة .. لا .. ولا مصاص
دماء يفتح عينيه في ظلام قبو .. ولا حتى
مسخ ذئب يتربص خلف الأشجار في ضوء
القمر .. لن تكون هناك أشياء تتحرك
ولانباتات وقحة ، ولا تعاويذ قديمة
أطلقها كهنة (الإزتك) سريعو
الغضب .. لأشياء من هذا .. لأنها
أسطورة تختلف ..!



د. أحمد خالد توفيق



العدد القادم :
أسطورة رجل بكين !

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

الطبع والنشر والتوزيع
TAWFIK - TAPPAH - AL-AZAB
القاهرة - مصر

التمن في مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

43

روايات مصرية للجيب

•
ما وراء الطبيعة

أسطورة تختلف

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوروبية .

إشراف

الأستاذ/ حمدي مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناسر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ١٠، ٨ شارع ٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية - منفذ البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صدقي للجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى
مصر الجديدة - القاهرة ت: ٢٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع.

43

ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة تختلف

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

٢٥٨١١٩٧ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٥٩٠٨١٥٥ : ت

فاكس : ٢٨٣٧٠٠٢

مقدمة

فرغنا من قتل آخر (البيروسات) عند الخامسة مساءً ..

أنتم تعرفون أن قتل (البيروسات) ليس سهلاً ،
وليس بالضبط نشاطاً محبباً ، لكن ما باليد حيلة ..

وفي الضوء الخابي كنت ترى وجهه المقلوب يرمقنا
في كراهية ، وعيناه قد صار لونهما أحمر تماماً ..
أحمر كالدم .. أحمر كـ .. كعنيه ..

بيد مخالبية رابعة راح يحاول الوصول إلى نسيج
بنطالي ، فتراجعت للوراء خطوة ، ثم راح السائل
الרגوى الأخضر يتدفق من فمه ..

كان (بكر) يقف جوارى ، يلهث من فرط الجهد ،
وقال راجفاً :

- « لو رأيت هذا المشهد فى فيلم رعب ، لغادرت
دار السينما ساخطاً .. » .

نظرت حولى لأتأكد من أنه ليس هناك آخرون ، وقلت
وأنا أجفف عرقى الذى علف عويناتى بالضباب :

- « لقد رأيت أسوأ ، وفى كل مرة ظللت جالسًا ، لأن دار السينما التى أجلس فيها ليس لها باب خروج .. هناك واحد لكنه يقود إلى الأبدية ، والخروج منه ليس باختيارك .. »

ونظرت ورائى لأرى وقع كلماتى عليه ، فلم أجده ..
لقد ..

ها هو ذا واحد آخر لن يتألم ثانية ..

يومًا ما سأحكى لكم ما حدث بعد هذا ، وكيف وجدت نفسى فى هذا المأزق .. لكن اليوم مناسب لأحداث أكثر مرحًا وأقل بشاعة ..

إن أسطورة اليوم لها مذاق فريد مسل ..
إنها أسطورة تختلف ..

★ ★ ★

تمهيد لا بد منه للأسف ..

ثم ما الجديد فى كل هذا ؟

تعرفون أننى مررت بفترة نفسية سيئة بعد صدامى مع (خادم الكلمات السبع) ، وتعرفون أننى فقدت أجزاء من جسدى ، وتعرفون أننى أصبت بالتهاب رئوى لفترة لا بأس بها ، وتعرفون أننى سافرت إلى الولايات المتحدة .. بالتحديد إلى (نيويورك) .. تعرفون أننى اتصلت هناك بـ (هارى شيلدون) صديقى القديم .. لماذا ؟ لأنه سيدمرنى لو عرف أننى جئت إلى الولايات ولم أتصل به ، وهو فى الغالب يعرف هذا ..

تعرفون كل هذا يقيناً .. فما الجديد هنا ؟

الجديد هو أننى تلقيت دعوة إلى نادى السحر إياه ، وكان الداعى هو النصاب اليهودى المعهود (سام كولبى) ..

حسن .. كان على أن أكون هناك ..

★ ★ ★

بالنسبة لمن قرءوا (حكايات التاروت) ؛ وهى حلقة
الرعب الثانية ، يمكن أن نقول إن الجو كان شبيهاً بذات
الجو الذى قابلت فيه د. (لوسيفر) .. المشكلة هى
أننى أمقت الوصف بطبعى ، فقد مات (بلزاك) منذ
عهد طويل .. (بلزاك) الذى كان يطلب من تلاميذه
- هواة الأدب - أن يمشوا فى الحديقة عشر خطوات ،
ثم يكتبوا واصفين ما رأوه فى عشرين صفحة !

مختصراً سأكون .. ومختصراً أقول إن اللقاء تم
فى الشقة ذاتها فى (بارك أفينيو) ، وكان هناك عدد
لا بأس به من سحرة (نيو يورك) وسواهم .. سحرة
من الطراز الذى ينشر جسد المرأة إلى نصفين فى
عروض المسارح ، وسحرة من الطراز الغامض
الذى يمارس شيئاً ما لا تدرى كنهه ، لكنه كرهه منفر
مظلم ..

كان الكل هناك .. وكان هناك ذات الجمع من غريبى
الأطوار والحسنات ومديرى الأعمال والوكلاء
والمسوسين ..

وقلت لـ (هارى) وأنا أتأمل كل هذا غير راغب
فى الاشتراك فيه :

- « أظن هذا المكان يجلب لك ذكريات تعسة ؟ »

قال فى استخفاف :

- « لماذا ؟ لقد جعلنى د. (لوسيفر) آخذ حذرى ..

لم تكن تجربة معدومة النفع على كل حال .. »

كان الجو منفراً كما تلاحظون ، لكنه ساحر غريب ..
نعم ساحر .. وهذا هو السبب الذى جعلنى لا أرفض
الدعوة ..

ومن وسط الناس ظهر لنا (سام كولبى) .. النصاب
اليهودى الذى صار الخلاص منه مستحيلاً .. والحقيقة
هى أن الرجل بلا ذاكرة ، وغير قادر على أن يحتفظ
بوجه فى عقله فضلاً عن اسم ، لكن من الواضح أننى
لا أمحى من ذاكرة من يرانى بسهولة .. كلون الطلاء
حين يلتصق للأبد بكوع بذلتك الجديدة .. ثم إن الرجل
ما زال يعتقد وما زال متأكداً من أننى (إدجار آلان بو)
الذى عادت روحه إلى الأرض ..

بوجه الدمية الطفولى الذى يحمله رَحْب بنا ، وبدأ
واضحاً أنه نسى كل شيء عن (هارى) .. قال لى وهو
يتأبط ذراعى بيده الدقيقة :

- « قد مرّ وقت طويل منذ جلسنا فى هذه الشقة
نسمع طالعنا من دكتور (لوسيفر) .. لا شك أنك
سعدت بمعرفته حقاً .. »

قلت ما معناه أنها كانت معرفة خير حقاً ، وكنت
أتذكر لقائى اللطيف معه فى قصة (دماء دراكيولا) ..
إن الأشخاص الذين نتعرفهم بفضل إنسان مثل (كولبى)
هم كوارث حقيقية .. معسائب تنتظر الحدوث ..

قال (كولبى) وهو يحيى هذا ، ويداعب ذاك :

- « ما كان لينبغى أن أفوت فرصة لقائك ثائية ،
وأنت من جعلنى شهيراً فى أوساط السحر .. ولكن .. »
وتأملنى فى شىء من الحسرة وقال :

- « تبدولى فى أسوأ حال .. كأن عشرين سنة قد
أضيفت إلى عمرك .. »

قلت له فى رزاة :

- « ليس هذا ذنبى .. لقد قابلت الوباء الأسكتلندى
القديم ، وقضيت معه ليلة كاملة فى المشرحة .. أنت
تفهم هذه الأمور .. »

هز رأسه شأن العارفين وقال :

- « بالطبع .. بالطبع .. إن حياتك مرهقة مفعمة
بالصدمات .. و ... »

ثم تقلص وجهه ، وبدا عليه الألم ، وهتف :
- « بعد إذنكما .. سأبى نداء الطبيعة .. معذرة ..
إنها البروستاتا كما تعلمان . »

وقبل أن نعلق اختفى من أمامنا ..

تناول (هارى) كوباً من عصير البرتقال تحمله
ساقية حسناء على صحيفة ، وناولنى إياه ثم تناول
آخر ، وقال :

- « يبدو أن جراحى المسالك البولية نادرون فى
(نيويورك) .. ولكن .. ما موضوع الوباء الأسكتلندى
هذا ؟ »

قلت دون احتفال :

- « إنها حياتى .. وقد اعتدتها .. »

عاد (كولبى) منهمكاً فى إغلاق بنطاله ، وقد بلل
كتفيه وصدره بماء حوض الغسيل كالعادة .. وقال لى
مواصلاً ما بدأه :

- « الحقيقة يا د. (إسماعيل) هي أنك تذبل سريعاً
جداً .. جداً .. »

- « أنا لم أكن زهرة قط كي أذبل .. يخيل إليّ أنني
خرجت من بطن أمي عصبياً ملولاً نحيلاً .. ولم يهتمنى
أحد قط بأننى أملك نضرة الشباب .. »

- « لكنك - بالتأكيد - لن تعيش لترى الخمسين من
العمر .. »

- « ليس فى الخمسين ما يغرى .. لو عشت لأراها
فلا بأس ، ولو مت فلا خسارة هنالك .. أنت تحاول
إقناعى بوجود مشكلة لا وجود لها .. تقنع رجلاً ضريراً
بألا يدنو من شاشة التلفزيون أكثر من اللازم لأن هذا
يؤذى عينيه ! إن الضرير لن يدنو من الشاشة أصلاً .. »

اتسعت عيناه فى خطورة ، وقال :

- « ولكن الصحة .. من أدراك أن نهايتك ستكون
نظيفة ، من دون جلطات مخية وقروح فراش وبتتر
أطراف و ... ؟ إن الصحة تمنحك هذا الضمان
ما دامت لن تطيل عمرك .. »

فأل الله ولا فألك أيها اليهودى المستفز ! ..

هذا الذى يقوله هو كابوسى الحقيقى ، والشئ الوحيد
الذى يرهبنى أكثر من كل مصاصى الدماء والمذعوبين
والموتى الأحياء .. إبنى أقبل فكرة الموت السريع ..
موت النوبات القلبية المفاجئ الذى يطلبون قبله كوباً
من الماء .. ثم .. هوب ! ينتهى الأمر بنظافة ..

لكنى أكره - كالموت - فكرة الموت البطيء المفعم
بالألم والسقم ..

قلت له محاولاً تغيير مجرى الحديث :

- « هل لديكم ضيف فوق العادة هذه الليلة ؟ »

قال فى رضا :

- « بالتأكيد .. لكنه رجل عادى لا يملك هالة الإبهار
والغموض التى يحيط بها (لوسيفر) نفسه .. وهذا هو
ما جعلنى أتحدث عن الشيخوخة والاضمحلال .. الحقيقة
هى أن (ميخائيل ميلفيسكو) يملك مفاتيح استرجاع
الشباب .. »

- « أرومانى هو ؟ »

- « بالطبع .. إن (إسكو) فى نهاية الأسماء لها
رنين لا تخطئه الأذن .. »

كنت قد قرأت الكثير عن دكتورة (أنا أصلان)
الرومانية ، وتجاربها على فيتامين (هـ) ، وشعرت بأن
هناك قدرًا من الحماس الزائد فى تفسير نتائج تجاربها ..
لقد تعاملت معها الصحف باعتبارها المرأة التى اكتشفت
نبيع الشباب .. وخمنت أن (ميلفيسكو) هذا يبيع الصنف
ذاته .. ربما هو قد سرق علبة بها عشر كبسولات
من فيتامين (هـ) من معمل الدكتورة المذكورة ..

وصارحت (كولبى) برأى : فقال :

- « لا .. إن طريقته فريدة بحق .. إنه لا يعتمد على
العلم بتاتا ! »

- « هذا شيء مطمئن .. »

- « أعنى أنه يعتمد على العلم الخاص الذى لم يُقَنَّ
بعد .. الذى لا يمكنى قياسه أو رؤيته أو تفسيره .. »
ثم تقلص وجهه ألمًا لأن البروستاتا كما تعلمون ..

★ ★ ★

حين عاد راضيًا مسرورًا ، سألته السؤال الوحيد المنطقي :

- « لماذا لم تطلب منه أن يريحك من مشاكل البروستاتا ؟ »

قال كأنما يتوقع السؤال :

- « لأنه لا يتقاضى أجرًا ، وهو يمارس فنه مع الشخص الذي يختاره دون سواه .. ومن الواضح أنني لا أروق له .. »

تبادلت نظرة مع (هارى) .. على الأقل يوجد شيء واحد محترم فى (ميلفيسكو) هذا .. ثم قلت :

- « يا سلام ! وما هى شروطه فيمن يختاره ؟ »

- « لا شيء .. هو يراه ويقرر .. إن للرجل أسبابه الخاصة .. »

- « إذن بالتأكيد لن أروق له .. »

- « يمكنك أن تقابله وتتأكد من هذا .. »

★ ★ ★

وكان جالساً على أريكة مع ثلاثة آخرين .. أقول إنه
كان جالساً على سبيل المجاز لأنه - فى الواقع - كان
غائصاً .. إنها أريكة من تلك الأرائك المريحة أكثر من
اللازم التى لا تنفك تبتلعك أكثر فأكثر ..

كان لهؤلاء القوم منظر مريب يوحى بالشر كأنهم
زعماء المافيا فى اجتماع ، وأدركت أن رجلنا هو
أكثرهم بدانة وأضخمهم بطناً ، وكانت له قسّمات
عملاقة غريبة تشعرك بأن هذا كله خيال ..

فى أدب دنا منه (كولبى) وهمس فى أذنه بكلمات
عدة ، فاستدارت عيناه لى ورمقتى لحظة ، ثم تهلل
وجّهه وقال :

- « سعيد بمعرفتك يا بروفيسور (إسماعيل) .. »

وبذل جهد جهيداً حتى ينجو من الأريكة الشفّاطة ..
وفى النهاية وقف .. لم يكن عملاقاً .. كان أقصر
منى قليلاً بما لا يتناسب مع ملامحه الهائلة ..
صافحنى بيد هائلة بدورها ، وقال :

- « يمكننا أن نتحدث فى مكان أكثر هدوءاً .. أرجو
المعذرة يا سادة .. »



فى أدب دنا منه (كولبى) وهمس فى أذنه بكلمات عدة ،
فاستدارت عيناه لى ورمقنى لحظة ..

كان يتكلم بإنجليزية رومانية أو رومانية إنجليزية ..
وهى لغة اعتدتها بعد ما كان لى من قصص فى
(روماتيا) ..

قال لـ (كولبى) وهو يدفعنا دفع الخراف إلى ركن
القاعة :

- « يبدو أن هناك مكاناً منعزلاً هنايا (كولبى) .. »

قال (كولبى) فى أدب :

- « ثمة مكتب صغير هناك .. وهو مغلق .. »

- « إذن يناسبنا هذا .. »

وبعيداً عن صخب الحفل فتحنا باب المكتب ، ودخلنا ..
كان عارياً من الأثاث إلا من منضدة صغيرة عليها
جهاز هاتف ، ومقعد أمامها ومقعد خلفها ، إذا اتفقتا
على (أمامها) و (خلفها) هذين ..

أراح جسده الضخم المكتنز على أحد المقعدين ،
وأشار لى إلى مقعد آخر ، وقال لـ (كولبى) :

- « يبدو يا (سام) أننى سأطلب منك أن .. »

فهم (كولبى) على الفور ، فهز رأسه وأشار لى بما
معناه : اطمئن .. أنت فى يدين أمينتين ، ثم غادر
المكتب وأغلق الباب ..

★ ★ ★

مرَّ صمت ثقيل ، ثم تكلم (ميلفيسكو) :

- « إذن ؟ » .

قلت له فى حرج :

- « الحقيقة هى أننى لا أعرف ما قاله لك المستر

(سام كولبى) ، لذا أجد عسرًا فى البدء .. »

- « سأحاول أن أريحك .. أنت تصبو إلى استعادة

شبابك المفقود .. »

- « لم أقل هذا بالضبط .. لنقل إننى أصبؤ إلى

موت نظيف خال من الأمراض الطويلة .. إن البَرَضُ

مُهين يا سيدى ، وبصورتى الحالية أعتقد أنه آت

لا محالة .. »

قرب وجهه العملاق منى ، وقال :

- « روائت لا تثق بأننى قادر على ذلك .. »

- « لنقل بطريقة أخرى إننى لا أعرف ما أنت قادر عليه .. هل الأمر يتعلق بالتمارين السويدية وحمامات البخار وفيتامين (هـ) ؟ »

فتح كفه فى وجهى بما معناه : لا .. لا أرجوك ..
ثم قال :

- د. (رفعت) .. هل تسمح لى بمناداتك بهذا ؟ »

- « أرجوك أن تفعل .. »

- « د. (رفعت) .. إن الطريقة التى أتوى استعمالها معك طريقة فريدة ، لا يمكن قياسها إلا بناتجها .. أنت تعرف منهج (الاستدلال العلمى) المعروف .. لا أحد يرى الإليكترون ولا يمكن وزنه بميزان ، لكن آثاره تدلّ عليه ، وهذه الآثار يمكن ملاحظتها فى تجارب قابلة للتكرار .. من هذا نستدل على أن هناك ما يدعى بالإليكترون .. ثمّة شيء ما لا يمكن وصفه ولا استيعابه يحيط بنا فى كل لحظة ، وحتى (برتراند راسل) الذى وجد نفسه فى علمى الرياضة والمنطق قال : إن الرياضيات هى حروف كتاب الطبيعة ؛ لكنها ليست الكتاب نفسه ! » .

تُلت في نفاذ صبر :

- « لا أدرى ما ترمى إليه .. لست (برتراند راسل)
ولا أحب أن أكونه .. ليس لدى أى افتراض مسبق
إلا فيما يصدمنى عقائدياً أو علمياً .. فيما عدا هذا أنا
أقبل التجربة وأحترمها .. لقد افترض (أرسطو) أن
أسنان المرأة أقل من أسنان الرجل ، ببساطة لأنه لم
يحاول أن يجرب .. لم يحاول أن يفتح فم أول امرأة
يقابلها ويعدّ أسنانها .. »

ابتسم الرجل ، وقال :

- « إذن أنت متعادل .. »

- « بالطبع .. لست مستعداً لاتهامك بالنصب ، ولست
مستعداً للوثب فى الحجرة انبهاراً بقدراتك .. لن أفعل
هذا الآن .. »

قال فى رضا :

- « حسن .. لعلك تتساءل لماذا اخترتك أنت
بالذات ؟ »

- « هذا سؤال فى موضعه .. »

- « لأنك متعادل .. من اللحظة الأولى أدركت أنك متعادل .. لست منبهراً قابلاً للإحياء مثل (سام كولبي) . ولست عدوانياً متحفزاً كصديقك الأمريكى الذى رأيتَه معك .. إن القابلين للإحياء لا يناسبوننى ، لأنك طبيب وتعرف جيداً تأثير (البلاسيبو) Placebo effect (*) أما من يبدعون التجربة وهم يرفضونها ويرفضون وجودى ، فهؤلاء لا يناسبوننى .. ولربما تدخل رفضهم فى نتائج التجربة .. إن للجسم كيمياء الغامضة على كل حال ..

« ومن نافلة القول ياد . (رفعت) أن أخبرك أن جلّ من يتقدمون لى ، يقعون فى واحدة من هاتين القائمتين .. أما من لا يندرج فيهما فهو صيد ثمين .. »

وضعت ساقاً على ساق ، وسألته فى شك :

- « وكم تكلفنى هذه التجربة ؟ »

(★) (البلاسيبو) هو ، دواء وهمى يتم إعطاؤه للمرضى لاستبعاد عنصر الإحياء من الموضوع . وذلك عند تجربة دواء جديد .. وله معنى آخر هو (صلاة الموتى) فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية .. معنى الكلمة باللاتينية هو (سوف أسعد) .. بضم الألف وكسر العين ..

قال كما أتوقع بالضبط :

- « أنا لست بقالاً .. ثمة أشياء لا تشتري ولا تباع .. »

أنا لست بقالاً .. هكذا يبدءون وفي النهاية يطلبون تبرعاً بسيطاً لجمعية (سحرة بوخارست) أو شيئاً من هذا القبيل .. إن (جوستاف) صديقى الرومانى سيضحك كثيراً لو سمع هذه القصة ..

قلت وأنا أتأهب للنهوض :

- « لكن لكل شيء ثمناً .. أنت لا تفعل هذا من أجل جمال منظرى .. »

- « بل هناك ثمن يا د . (رفعت) ، لكنه ليس كما تتصور .. »

- « إذن هى قصة د . (فاوست) ثانية .. هل معك العقود اللازمة لأبيع لك روحى مقابل الشباب ؟ » .

ضحك ضحكة رنانة معدنية .. إنه ممن يهتزون كالجيلى عند الضحك ، وقال :

- « ولا (فاوست) .. إننى أريد منك شينين لا شيئاً واحداً .. »

رفعت حاجبىَ بمعنى الانتظار .. فقال :

- « الشيء الأول هو أن أسلوب المعالجة سيظل
سراً .. وإبنى لا أنتظر كلمة شرف منك ، وأنت فيما
يبدو لى رجل شريف .. »

ثم جفف قطرات عرق نبّت على جبينه وأردف :

- « أما الشيء الثانى فهو .. »

★ ★ ★

وحين خرجت من الجلسة ، سألتنى (كولبى)
و (هارى) عما تم فيها ، فhezزت رأسى سلباً كما
يفعلون عند الخروج من مباحثات القمة ، وقلت :

- « لا تصريحات .. لقد وعدته بشرفى .. »

ولنفس الأسباب يرافق لا أستطيع أن أشرح أسلوب
المعالجة ، ويكفى أن أقول إن العملية استغرقت ساعتين
من عصر اليوم التالى ..

وبعد يومين كنت فى الطائرة عائداً إلى وطنى ..

ومن هنا تبدأ القصة ..

★ ★ ★

عشرة !

السبت ١٨ إبريل :

من جديد أعود لكتابة مذكراتى .. إن الحلم القديم لدى لن يموت أبداً .. أن تكون عندي مذكرات ، وأنا - كما تعرفون - لم أواظب قط على شىء فى حياتى ، ما عدا عادات التنفس والأكل والشرب والإخراج ، لأنها لا تتم بإرادتى ، ولكن بإرادة فسيولوجية عليا .. مازلت أمل أن أصل إلى نهاية رحلة العمر ، ولدى عدد هائل من الكراسات التى تحكى تفاصيل حياتى ، ولكن أية حياة هذه ؟

فما لم يحدث شىء مهم لى فليسوف تظل مذكراتى هى مذكرات تلك الإرادة الفسيولوجية .

لقد عدت إلى مصر أخيراً ، ولا أعتقد أن تغييراً ما قد طرأ على .. مازلت ألهث عند صعود الدرج ، وأسعل فى الفجر حتى يوشك لسانى على الثوب من فمى ، وتوشك الأكلات الدسمة على إزهاق روحى ..

إننى مازلت أنا ..

بالطبع كنت أعرف هذا من البدء ، لكنى لم أعترف به .. إتنا أطفال خالدون ، وكلما تقدم بنا العمر ازددنا طفولة ورفضنا فكرة الشيخوخة .. لكننا نشيخ طيلة الوقت ، ونموت ، وينسانا أصدقاؤنا الأعزاء مهما بكوا علينا فى البداية .. هذه هى الحقيقة .. قبولها نضج ورفضها عته .. لكننا - المؤسى - نفضل أن نكون معاتيه على أن نكون شيوخاً ..

الأحد ١٩ إبريل :

لم يحدث لى شىء اليوم ..

الاثنين ٢٠ إبريل :

لا مزاج عندى لكتابة مذكراتى اليوم ..

الثلاثاء ٢١ إبريل :

كنت فى مكتبى بالكلية أطلع بعض الأوراق العلمية ، وأثار شغفى شىء ما ، فمددت يدى أصلح من وضع العوينات على أنفى طمعاً فى وضوح الرؤية كعادتى دائماً ..

هنا لاحظت أنها لم تكن على أنفى ..

أصابتنى الدهشة وبحثت عنها على المكتب ، فوجدتها
فى جرابها لم تمس .. إن لدى مجموعة هائلة من
العينات .. بعضها للمسافات وبعضها للقراءة وبعضها
للبحث عن النوعين الآخرين ، وقد صار تصلب عدسة
العينين - وهو داء الكهولة الشهير - ملازمًا لى ، فلم
أعد قادرًا على مطالعة الجريدة دون عوينات ، ودون
أن أبعدھا على امتداد ذراعى ..

معنى هذا أننى قرأت كل ما قرأت دون عوينات ،
ودون أن ألاحظ فارقًا يذكر .. إنها علامة غريبة حقًا ..
ثم لاحظت شيئاً آخر أكثر غرابة ..

لقد صعدت فى الدرج - نحو ثلاثة طوابق - دون
لهات ، ودون آلام عاصرة فى الكتف اليسرى ، ودون
ذلك الجوع إلى الهواء الذى يثير شفقة من يراه ..
الحقيقة هى أننى أحسن .. لا أدرى كيف ولماذا .. لكن
هذا حقيقى .. أشعر به ..

هل هذا هو تأثير (البلاسيبو) الشهير ؟ أم أن
(ميلفيسكو) يعمل حقًا ؟

ما زال الوقت مبكراً كي أعرف الفارق ..

الأربعاء ٢٢ أبريل :

من جديد تتزايد علامات الاستفهام وتتشابك ..

لقد كان موعدى اليوم مع الدكتور (صبحى متى)
طبيب القلب الذى يتابع حالتى ، والذى كان فى كل لقاء
يزداد وجهه تقلصاً ويطفئ بشفتيه ، قانلاً إن بقائى
حيّاً هو أعجوبة طبية تتحدى كل القوانين .. رسم القلب
مرعب ، وضغط الدم شنيع .. وفى كل مرة يودعنى
وعيناه تترقرقان بالدموع باعتبارى (كنت نبزاساً
يشع لزملاء المهنة) و (فليرحمنى الله) .

هذه المرة نظر لى فى عناية متفحصاً ، وقال :

- « ما شاء الله .. عينى عليك باردة .. تبدو لى
فى أحسن حال .. »

ولفَ جهاز قياس الضغط حول ساعدى ، وراح ينفخ
متوقفاً أسوأ النتائج كالعادة ، لكن شفّتيه تباعدتا ،
واتسعت حدقتا عينيه ، وقال :

- « غريب هذا ١٦٠ / ١٠٠ ! »

- « مرتفع قليلاً .. ألا ترى هذا ؟ »

صاح فى ابهار :

- « بل هو أفضل قياس قرأته لك منذ عرفتك ..
إنها معجزة ! »

وأوصلنى بأقطاب رسام القلب العشرة . وراح كالصقر
يراقب الشريط المتجمع ببطء بحثاً عن تلك الموجة
الشاذة أو تلك التى تعنى أن خراب بيتى قريب .. ثم
طقطق بشفتيه فى حسرة :

- « ممتاز ! لا أدرى ما الذى فعلته كى تتحسن
هكذا ، لكنى أنصحك بأن تواصل فعله .. »

وفرد الشريط بين كفيه كأنه ثعبان ميت وجده فى
القبو ، وراح يدقق فيه المرة تلو المرة ، ثم قال :

- « ممتاز ! لكن لا تتفاعل كثيراً .. ربما هى صحوه
الموت ! إن مرضى كثيرين يتحسنون لحظياً قبل
الانهيار النهائى .. »

قلت وأنا أزر قميصى :

- « شكراً .. سأذكر ذلك .. »

وغادرت عيادته خفيفاً نشطاً ، يلعب برأسى ألف
خاطر باسم ..

إن الرومانى لم يكذب .. كل الشواهد تؤكد أنه لم
يكذب ..

الخميس ٢٣ إبريل :

لاحظ الحلاق - وهو الرجل الموكل بتشذيب الشعر
التائر على جانبى رأسى - أن عدد الشعيرات البيضاء
يقل نوعاً .. أو بعبارة أدق لاحظ أن الشعيرات السوداء ،
قد بدأت تظهر وسط القطن الأبيض انذى هو ما بقى من
شعرى ..

- « قلت لك مراراً يا دكتور .. التغذية أهم من أى
شء آخر .. التغذية والبال الرائق .. إن الشيب خرافة
يا دكتور .. صدقتى أنا .. »

كدت أعلن رأىى ، ذلك الرأى الذى لن يستطيع
أى طبيب كتمانته لو صارحه حلاقه بأن الشيب خرافة ،
لكنه أخرسنى على الفور :

- « خذنى أنا على سبيل المثال .. »

وتأمل وجهه فى المرأة وهو يقف خلفى ، ومرر
المشط على شعره .

- « هذا أنا .. ستون عاماً لكنك لا ترى شعرة
بيضاء واحدة .. هذا نتاج البال الرائق والأكل الجيد ..
صدقنى .. كان السمن البلدى صديقنا قبل الإفطار
وبعده ، وفى الغداء والعشاء .. وقبل زفافنا شربت
عروسى كوباً كاملاً من السمن البلدى لتكون أجمل ..
إن ما تأكلون اليوم ليس طعاماً .. »

شعرت بشرايينى التاجية تنقلص من هول الفكرة
- ومعها معدتى طبعاً - وكتمت عنه خواطرى التى
لن يتذوقها .. لا تجادل الحلاق أبداً فهو سيقهرك
مهما حاولت ..

لكننى كنت فى منتهى السعادة بفكرة استرداد بعض
الشعيرات السوداء من فكى الشيوخوخة ..

وقد لاحظت - وقت الغداء - أن معدتى تتحسن بشكل
غير مسبوق .. لقد التهمت طبقاً كاملاً من الأرز
والخضر ، مع أكثر من ربع بطة أرسلها لى أهلى منذ
يومين ، مع .. مع .. والغريب أن كل هذا مرّ بسلام
ونمت بعده نوماً عميقاً هائناً ..

لكننى - عندما صحت - حاولت تهدئة حماسى
بعض الشيء وقلت لنفسى .

- « من يدري ؟ ربما أنت يا (رفعت) حالة أخرى
من التأثير بالوهم .. حالة أخرى من القابلية للإيحاء ..
لقد تحسنت لأنك توقعت أن تتحسن .. كلنا يعرف
الدجالين مدعى الطب فى القرى .. إتهم يحقنون
مرضاهم بالماء القراح ، وبرغم هذا يتحسن المريض
بشكل ملحوظ من ناحية الأعراض على الأقل ، لكن
اللعبة لا تطول وسرعان ما يعود المرض أعنف وأكثر
شراسة .. »

فى المساء كان عندى موعد مع الدكتورة (كاميليا) ..
كان هذا فى السابعة مساءً ، فى تلك الكافتيريا
الصغيرة التى هى خليط من المقهى والمطعم .. إن
الدكتورة (كاميليا) قد صارت صديقاً عزيزاً لى كما
تعلمون ، فهى تملك عقل رجل راجحاً حكيمًا ، ولو
كان لها شاربان وتحلق ذقتها كل صباح ، لكنت أكثر
راحة وسروراً فى التعامل معها ..

لكنى كنت أمقت هواجسها الوجودية ، وميولها

القيادية المستفزة قليلاً ، بينما كانت هى مرتابة فى حالتى العقلية ، خاصة بعد قصة (عدو الشمس) و (أسطورة رفعت) ، حيث تكفلت الظروف بجعلى أتصرف تصرفات عجيبة معها .. والسبب فى المرة الأولى أنها لم تكن هى ، والسبب فى المرة الثانية أننى لم أكن أنا !

ما علينا ..

فما إن رأتنى ، حتى قالت فى دهشة :

- « عيني عليك باردة ! »

نفس العبارة أسمعها أكثر من اللازم هذه الأيام ..

لم أجروْ بالطبع على مصارحتها بموضوع الرومانى إياه .. المفترض أننى رجل عقلانى بارد لا تليق به هذه المهاترات .. قلت لها وأنا أنادى النادل :

- « لنقل إن الحياة أحسنت إلى كثيراً فى الآونة

الأخيرة .. »

قالت فى جدية :

- « أنا لا أمزح .. لقد قلت التجاعيد فى وجهك

كثيراً .. يخيّل إلى أنك قد صغرت عشرة أعوام ! »

عشرة !



قالت فى جدية :

- « أنا لا أمزح .. لقد قلت التجاعيد فى وجهك كثيرا » ..

هذا هو ما أشعر به فعلاً ، وقد أمسكته هي ..
أشعر أننى فى الثلاثينات من عمرى .. ربما فى
الخامسة أو السادسة والثلاثين .. جسدى جسد فى
العقد الرابع من العمر ، وربما تفكيرى أيضاً ..

قلت لها بلهجة تقريرية :

- « إننى أتناول وجبة خاصة ، مع جرعات عالية
من فيتامين (هـ) .. لا مشكلة هناك .. »

مالت برأسها الأشعث نحوى ، وقالت همساً :

- « هل يضايقك أن تكتب لى نظام حميتك بالضبط ؟
أنا أيضاً أشعر بعدم راحة بسبب الزمن .. يخل إلى أن
زحف السنين أسرع من قدرتى على الاستمتاع بها .. »

وكنت أفهم ما تعنيه .. التجاعيد .. الشيب .. علامات
وندوب الصراع مع الزمن تظهر - بلا رحمة - على
الوجه ، وهى - بعد كل شئ - أننى .. قد تتكلم عن
العقل المجرد وعن مقولات العقل وصراع الوجود
العبثى ؛ لكنها - فى النهاية - تتضايق جداً حين تجد
شعرة بيضاء فى مفرقيها ، ولهذا تضع كل هذه
الأصباغ على وجهها - كما قلت سابقاً - كأنها هندی
أحمر ذاهب لحرق معسكر الوجود الشاحبة ..

- « سأكتب لك نظام حمية ناجعاً .. »

وكانت خجلى من اعترافها الأخير الذى يكشف عن كونها امرأة ، وربما عن كونها إنساناً أيضاً ، لذا حاولت تغيير الموضوع على الفور :

- « ماذا عن بروفات كتابى ؟! »

وكتابها هذا كان ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ، قامت بلفها فى كيس بلاستيكى كى لا تتبعثر .. وكانت مكتوبة بخطها الكبير الراسخ الذى يعنى بنقاط التاء المربوطة ، والهمزات عناية بالغة ..

أما عن موضوع الكتاب فهو (مدارس العقل من سقراط حتى هيربرت ماركوس) ..

وكان هذا كتابها الأول ، وتهدف به إلى تبسيط الفلسفة لتناسب رجل الشارع .. أى أنه - لو تحقق حلمها - سنجد البقال يبدى رأيه فى فلسفة (شوبنهاور) ، وأم (سعد) - مدبرة دارى - فى (الجشتلط) ..

لقد أعطتنى أصول الكتاب من زمن سحيق ، وبالطبع لم أقرأ منه حرفاً .. أنا أمقت الفلسفة ولا أفهمها ، وأراها فن الكلام عن البرتقالة حتى تفسد بدلاً من

التهامها .. لكننى - بدافع الحرج غالباً - أخذت الكتاب ، ووعدت بقراءته بعناية وإبداء رأى فيه ، وكان هذا الرأى مهماً بالنسبة لها للغاية لأننى - كما تعتقد - من المثقفين الذين هم قسدة المجتمع ..

هنا فقط تذكرت الكتاب ، ودعوت الله ألا تكون أم (سعد) قد وجدته وباعته لأول بائع (طعمية) فى الحارة التى تعيش بها ..

قلت وأنا أحاول التذكر :

- « لم أفرغ منه بعد .. إنه شديد العمق ولا يُقرأ فى جلسة واحدة .. ثم إن رحلتى إلى الولايات المتحدة قد .. »

- « حاول أن تنتهى منه سريعاً .. إنهم يطالبون به .. »

ومضت الجلسة فى بعض المحاورات (العميقة) ، مثل سبب سقوط أقلام الحبر على سنونها ، ورنين جرس الهاتف حين تكون فى الحمام ، وتأخر القطار عن مواعده حين تصل إلى المحطة مبكراً ، ورحيله فى الوقت المحدد بالضبط لو تأخرت أنت عشر ثوان ..

سأقرأ الكتاب غداً .. بالتأكيد سأفعل ..

الجمعة ٢٤ إبريل :

بعد طقوس الجمعة الشهيرة : الصلاة والغداء والنوم ، شعرت بوحدة بالغة .. قررت أن الوقت قد حان لقراءة كتاب (كاميليا) .

جلست فى الصالة أصغى لصوت انهمار المطر فى الخارج .. كان يوماً مطيراً رمادى السماء له كآبة محببة .. البرد يتسرب إلى قلبك وأعصابك .. إبنى وحيد جداً .. وحدتى تفوق وحدة الآخرين .. هناك من هو وحيد لأنه ليس معه واحد آخر .. وهناك من هو وحيد لأنه ليس معه اثنان .. والوحيد الذى ليس معه ثلاثة .. أنا ذلك الوحيد البائس الذى ليس معه مائة شخص .. لهذا أقول : وحيد جداً ..

جرعت جرعة من الشاى الساخن ، وأرحت كفى على الكوب ورحت أطالع الصفحات .. غريب هذا ! الكتاب جيد بالفعل .. جيد وشائق ، وينجح فى ربط الفلسفة بحياتنا إلى حد غير مسبوق ..

رحت أثب - كحصان طليق - بين الصفحات على
صوت العاصفة .. على أن أتحكم فى نفسى كى
لا أنتهى من هذا الكتاب الساحر فى جلسة واحدة ..

وعلى وريقة صغيرة رحلت أخط ملاحظاتى كى
لا أنساها ..

ترك ما قرأته تساؤلات عديدة فى نفسى ..
تساؤلات كنت أحسبني أملك الإجابة عنها ، وزرع فى
نفسى حيرة محببة تجاه كينونتى وكينونة الآخرين ..
أنت بارعة بحق يا (كاميليا) .. وإبنى لأتحنى لك
احتراماً ..

إنها العاشرة مساء ..

ترى هل أنام أم ؟

نعم .. إن لى فترة لا بأس بها منذ ذهبت إلى دار
(عزت) آخر مرة لقد تعافى تماماً من المرض ، ومن
المفترض أن يكون الآن فى شفته ما لم يكن فى
(الإسكندرية) ..

تمنيت الاحتمال الأول ، وتوكلت على الله وارتديت

الروب ودستت قدمي في المركوبين - وهى بالمناسبة
لفظة فرنسية .. أعنى (مركوب) طبعاً - واتجهت إلى
شقة المذكور ، ففتحت لى الباب ، وقال فى انبهار :

- « ما شاء الله ! عيني عليك .. إلخ .. »

لقد صار هذا مملاً .. كم هو مضجراً أن تكون فى
أفضل حال ، لا يكف الناس عن مصارحتك بهذا طيلة
الوقت ..

كان فى أسوأ حال بسبب البرد .. قلنسوة صوفية
على رأسه تغطى أذنيه ، وروب صوفى سميك يستر
عدة طبقات من الكنزات ، وفى قدميه جوربان
صوفيان .. إن مرضه يجعل البرد عذاباً مقيماً ..

قال لى :

- « هل لك فى بعض الشاى ؟ »

- « ولكن قلل الصراصير نوعاً ، فلم أعد مولعاً
بها .. »

غاب فى المطبخ فترة طويلة ، وشممت رائحة
شياط وسبانخ تسلق وسمعت صراخاً وعويلاً وعواء

ذنب ، وأشياء غريبة جداً ، ثم عاد لى بكوب شاي
على صحفة ، وجلس جوارى ..

أراد أن يخلى لى مائدة صغيرة ليضعها أمامى ،
لكن كان عليها تمثال ثقيل من تماثيله ، وحاول جاهداً
أن يرفعه فلم يقدر .. تطوعت أنا بحمله إلى مكان آخر
بسهولة تامة ، وعدت إلى مجلسنا أمام نظراته
المندهشة ..

- « غريب هذا ! أنت بصحة جيدة بالفعل .. »

- « (الدهن فى العتاقى) .. أنا لم أنته بعد .. »

قال فى كياسة وهو يقرب صحفة الشاي منى :

- « هذا يغرينى بأن أفتح موضوعاً مهماً معك ..

كنت متردداً لكنك قد جئت بقديمك .. »

- « جئت (بكامل إرادتى الحرّة) كما يقول مصاصو

الدماء .. إن مصاص الدماء لا يهاجمك إلا إذا تأكد

من أنك جئت بكامل إرادتك الحرّة .. »

أبعد الشر بكفه ، وقال :

- « دعنا من هذه السيرة المنحوسة ، وقل لى :

هل أنت مستعد للزواج ؟ »

نظرت له فى حيرة ، ولم أقل شيئاً ، واعتبرها هو
علامة على القبول ، فأردف وهو يرتجف من البرد :

- « إنها زميلتى .. رسامة قابلتها فى (بينالى
الإسكندرية) .. فتاة ممتازة بحق ومناسبة من جميع
الوجوه .. »

- « يا سلام ! ولماذا لا تتزوجها أنت ؟! »

اصطكت أسنانه ، وقال :

- « فى حالتى الصحية هذه أنا بحاجة إلى ممرضة
لا إلى زوجة .. أما أنت فصحتك ممتازة ، ولن تجنى
على من ستكون زوجتك .. »

تذكرت العناية المركزة وآلام الصدر وصغير الربو ..
كل هذا يعتبره (عزت) صحة ممتازة .. لكنه ليس
كاذباً إلى هذا الحد .. حقاً لم أشعر بهذه الصحة من
قبل ..

قلت له فى فضول :

- « والنسن ؟ »

- « خمسة وثلاثون .. إنها سن ناضجة ..
ولا تسألنى طبعاً عن سر عدم زواجها حتى الآن .. »

- « طبعاً .. إما أنها قبيحة كسحلية (البازيليك)
وإما هي (لم تجد الرجل المناسب بعد) .. »
- « وهى ليست قبيحة كسحلية ال .. الب .. هذه
فماذا نستنتج ؟ »

فكرت فى الساعات المريرة الوحيدة التى قضيتها
فى دارى ، وللمرة الألف شعرت بأن هذا الشرك
يستحق أن أنزلق فيه ..

- « دعنى أرها أولاً .. ودعها ترنى أولاً .. »

- « هذا من حقك طبعاً .. »

وراح يرتجف قليلاً ، ثم قال :

- « يجب أن تراها فى (الإسكندرية) .. إنها تعيش
هناك مع أهلها .. »

- « وهل لديها عمل حكومى ؟ »

- « إنها موظفة فى شىء ما بالتقافة الجماهيرية ..
ثمة معرض تشارك هى فيه الأسبوع القادم .. أعتقد
أنك ستهتم بالفنون التشكيلية فى الفترة القادمة » .

قلت وأنا أرشف الشاي حالماً :

- « لقد كنت مهتماً بالفنون التشكيلية طيلة حياتي ! »

وحين عدت لشقتي في الثانية عشرة مساءً ، كنت أفكر .. معنى ما حدث هو أن تأثير الشباب لم يكتف بجسدى ، بل بلغ روحى .. روحى التى بدأت تكتسب شباباً خاصاً بها .. فلو سمعت اقتراح (عزت) هذا منذ أسبوع لسخرت منه ، وسكبت الشاي على رأسه ..

لكن الاقتراح لم يبدُ اليوم سخيّاً إلى هذا الحد ..

سأسافر إلى (الإسكندرية) خصيصاً .. يالها من معجزة ! ومن يدرى ؟ ربما لو نجح اللقاء أسافر إلى (دمياط) يوماً لانتقاء صالون ! إن هذا يعدّ نوعاً من الخيال العلمى لكن كل شىء جائز هذه الأيام ..

سأنام الآن وقد فرغت من هذه السطور ..

السبت ٢٥ إبريل :

لا يوجد ما أكتبه اليوم ..

الأحد ٢٦ إبريل :

بانتظار تحسن الجوِّ فى (الإسكندرية) .. إنها نوة

شراسة لكن من الواضح أنها آخرها .. يقولون إن اسمها (نوة عوة) أو شيء من هذا القبيل .. لكنهم يضيفون في ثقة : (عوة .. آخر نوة) .. لا بد أنهم سموها بهذا الاسم كي يستقيم السجع لا أكثر !

الاثنين ٢٧ إبريل :

مزيد من الشعيرات السوداء وتجاعيد أقل .. لو استمر الأمر بهذا الشكل لتحولت إلى (إفيس بريسلى) بعد أسبوعين ..

الثلاثاء ٢٨ إبريل :

إنها الثانية صباحاً .. لقد عدت من الإسكندرية من ساعتين ..

رباه ! لقد كانت تجربة ثرية بحق ..

ذهبت مع (عزت) إلى المعرض في الساعة مساءً ، وكان هو قد أخبر الرسامة بقدومه ، ولم تكن هي لتفوت فرصة لقائه والترحيب به في معرضها .. وقد تفحصت لوحاتها بنهم قبل قدومها ، فوجدت أنها تقليدية جداً ما زالت في مرحلة رسم النهر ، والفلاحات اللاتي

يملأن الجرار . والبطّة السعيدة السابحة .. وكان هذا على كل حال أفضل من نوحات زملائها ، المليئة بأكالييل الغار ومداخن المصانع والتروس العملاقة والفتوات الممسكين بالمفاتيح الإنجليزية فى أيديهم ..

ثم جاءت .. وكانت شينا رقيقا هشا شديدا الخجل والعذوبة ، فصافحتنا وجالت بنا أرجاء المعرض ، وكان معها أخوها .. وهو شاب مهذب لطيف الخاشية .. أناس طيبون حقا و (عزت) لم يكن أحمق على الإطلاق .. على أن أكثر ما فتننى فيها كان نظرتها .. النظرة الهفهافة الخجول التى لا تجرف على إطالة النظر إلى شىء .. كلمسة رضيع على وجهك وأنت تميل على مهده تلاعبه ..

قررت أن أتكلم ، فبدأت أقول كلاما راقيا عميقا جدا عن الفن وعلاقته بالحياة .. كلام لا يعيبه إلا أننى لم أفهمه أنا نفسى ..

ونظرت فى ساعتها ، وقالت إننا أضانا ليل الإسكندرية . لكنها مضطرة إلى الرحيل لأن الوقت تأخر .. وهكذا انصرفت مع أخيها ، وأعتقد أن انطباعها لم يكن سينا ..

سألنى (عزت) فى كياسة :

- « ما رأيك ؟ أتناسيك ؟ »

قلت فى شرود :

- « المشكلة الوحيدة هى أن هذه الزهرة لا تستحق

أن تعاقب بى ! »

- « لا بد أنها تستحق .. إن كلاً منا له أخطاؤه

الشيعة ! »

ثم دار بعينه فى المعرض ، وقال بلهجة الإغراء .

- « هل تريد أن ترى تماثيلى » .

كدت أقول له إنه لا وقت لدى لهذا الهراء ، ثم

وجدت أن هذا سيكون فظاً بعد كل معاناته من أجلى ..

★ ★ ★

عشرون !

الأربعاء ٢٩ إبريل :

لا يوجد ما يستحق الكلام عنه اليوم ..

الخميس ٣٠ إبريل :

اليوم قد مرَّ أسبوعان على بدء التجربة ، وكما وعدت المعالج الرومانى فقد ذهبت إلى المصور ، وطلبت التقاط صورة لى .. بالتأكيد سيبدو الاختلاف واضحاً ، لو كان يبنى أن يضع وجهى فى إعلان من نوع (قبل - بعد) ..

لقد صار أكثر شعرى أسود ، وبدأ ينمو ببطء غازیاً الرقعة الصلعاء التعسة .. كثيرون فى العمل لاحظوا الفارق ، وافترضوا أننى أصبغ شعرى ..

« إنهم يقولون .. ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون .. »
هذا هو ميثاق اللامبالاة المتعالية الذى سأتمسك به إلى النهاية ..

ما زال ضغط دمي في تحسن ، وهو يدنو بسرعة
من الرقم السحري (٨٠/١٢٠) الذي لم أحظ به منذ
كان عمري خمسة وعشرين عاماً ..

لاحظت شيئاً آخر .. هو أن قيادتي السيارة صارت
أكثر جموحاً وجرأة ، ولم أعد أقود بهذا البطء
المرتجف الذي يضايق من يسير خلفي .. فلا تمرّ
دقيقة إلا ويتجاوزني بصوت الـ (فرووم !) المتذمر
الذي يقول : فلتذهب إلى الجحيم بذعرك هذا .. لن
أقضى حياتي ماشياً وراءك !

و ... و ... ملايين التفاصيل الصغيرة التي أحتاج
إلى مجلدين كي أحكيها .. تلك التفاصيل التي تعنى
الشباب .. بكل ما فيه من سحر ..

أعطيت اليوم موافقة مبدئية لـ (عزت) كي يتكلم في
موضوع الرسامة السكندرية هذه - اسمها (نجلاء) -
فقال لى :

- « ألا تدبر الأمر في ذهنك قليلاً ؟ لقد كان اللقاء
يوم الثلاثاء لا أكثر .. إن التمهّل في هذه الأمور ليس
حمافة .. »

قلت فى نفاذ صبر :

- « بل الحمافة هى ألا تعرف الفرصة حين تقابلها .. »

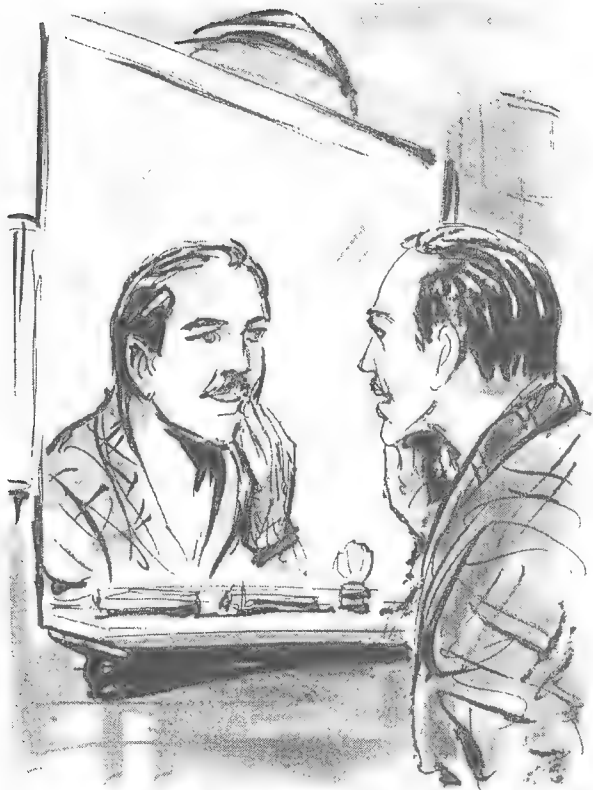
هزّ كتفه بإيماءة من طراز (هذا - شأنك - على
- كل - حال) ، وعدنى بأن يقدم لها الاقتراح غداً ..

الجمعة ١ مايو:

فى العاشرة صباحاً اتصلت بى د. (كاميليا) تسألنى
عما فعلت بصدد الكتاب ، فوعدتها أن أخبرها تفصيلاً
فى لقاء .. وليكن السابعة مساءً .. (المشكلة هى أننى
لا أذكر أين وضعت تلك الأوراق الحمقاء) ..

ثم إننى دخلت الحمام فحلقت ذقتى بعناية وتضمخت
بعطر فاغم (كما يقولون) ، وسرنى أن وجهى فى المرأة
لم يعد كابوساً خارجاً من دهاليز (ه . ب . لافكرافت)
أديب الرعب الشهير .. الحقيقة هى أن وجهى أصبى
بكثير .. لا أستطيع العثور على تصعيدة واحدة ، ويبدو
أن الصلعة العتيدة فى طريقها إلى التلاشى ..

لو استمر الأمر هكذا ، فلسوف يمنعوننى من دخول
الكلية ، ولسوف يسألنى بواب البناية عن وجهتى حينما
أحاول اجتياز الباب .



وسرني أن وجهي في المرأة لم يعد كابوساً خارجاً من
دهاليز (هـ . ب . لافكرافت) أديب الرعب الشهير ..

وفى السابعة مساءً لكم أن تراهنوا على أننى كنت
هناك .. اجتزت مدخل الكافتريا ويدأى فى جيب البذلة
الكحلية التى كانت تجعلنى فاتناً .. لم يعد هذا رأى
الحالى ، وأعتقد أن الخلاص منها هدف لا بأس به ..
جلست فى موضعى المعتاد ، وطلبت كوباً من
العصير ..

بعد دقائق جاءت د. (كاميليا) .. غريب هذا ! لكم هى
مهملة فى ثيابها ! وما أكثر التجاعيد على وجهها ..
إنها شمطاء بحق .. لا أدرى كيف غابت عنى هذه
الحقيقة ، وشعرت بشيء من خجل لأننى أجلس معها
هذه الجلسة المنفردة ..

بدا الذهول على وجهها كالعادة ، وهتفت وهى
تأمل وجهى :

- ما الذى تفعله بالضبط ؟ إننى تعرفتك بصعوبة !
ثم جلست ومالت برأسها المشعث نحوى ،
وتساءلت :

- « هل أنت واثق من أنك لم تبع روحك للشيطان ؟ »

قلت فى استهتار :

- « إن ثقافتك الأوروبية هذه قد أفسدت تفكيرك ..
لونسيت (جوته) قليلاً لوجدت أن الأمر ليس بهذه
الغربة .. لنقل إننى تعلمت كيف أعيش وأستمتع
بحياتى .. »

- « أنا لا أمزح .. لقد صار الأمر غريباً .. غريباً
إلى حد أنه مخيف .. »

طلبت لها بعض العصير ، ثم استرخيت فى مقعدى
منتظراً أن تبدأ الكلام ..
قالت :

- « هل قرأت الكتاب ؟ »

- « بالتأكيد .. »

- « وهل هو معك ؟ »

- « لا .. ثمة أجزاء أريد أن أقرأها مرتين .. »

- « ليكن .. وما هو رأيك النهائى ؟ »

- « كتاب ممل .. آسف أن أقول هذا .. لكنه

كابوس حقيقى ! »

كانت قد اعتادت سخرتي وأرائي الغريبة ، لكن شيئاً في لهجتي جعلها تقلق .. اتسعت عيناها وراء عويناتها ، وزمت شففتيها في عصبية ، وقالت :

- « إلى هذا الحد ؟ هل قرأت الجزء الخاص بالوجودية ؟ كنت أحسبه ممتعاً .. »

حاولت تذكر هذا الجزء فلم أستطع .. كانت لي آراء جيدة في الموضوع ، لكنها ذابت وتلاشت .. لا أذكر سوى أنه كتاب سخيـف مرهق .. وبحثت عن كلمات ذات معنى أقولها فلم أجد ..

قلت وأنا أرشف ما بقى في كوبي :

- « كتاب شديد الإملال .. لا أدرى لماذا تصرين على أن تكتبى أصلاً ؟ »

كانت مصرة بالفعل ، لكن على المزيد من الاستجواب :

- « والجزء الخاص بالرواقيين ؟ والردع لي (مارتن بوبر) ؟ »

خفت أن يكون هذا شركاً ثقافياً ، فلم أعلق على اسم بعينه ، وقلت :

- « كله .. كله سخيـف .. لا أخص بالذكر أجزاء

بعينها .. »

بدت عليها علامات الضياع والحماسة ، تلك العلامات التي زاد من قسوتها أنها كانت تحاول التظاهر باللامبالاة المتعالية .. إنها آراء ثقافية عقلانية باردة لا دخل للعواطف فيها ، لكنى كنت أعرف أنها تتأرجح بين رغبتين : رغبة فى البكاء الهستيرى ولطم الخدين والتوسل لى كى أمتدحها ، ورغبة فى صفعى مع البصق فى وجهى ثم تقول : ماذا تعرفه أنت عن الفلسفة أيها الأجوف ؟

محتفظة بقناعها الحضارى قالت :

- « ولم تحبّ جزء (كيركجارد) ؟ »

- « كان سخيـفًا جدًّا .. »

ابتسامة منتصرة عبرت شففتيها ، وقالت فى ترو :

- « لكنى لم أكتب حرفًا عن (كيركجارد) ! »

كما كنت أتوقع بالضبط .. هزرت وجهى فى سأم

وقلت :

- « لم تعد الفروع مهمة ما دام أصل الشجرة نخرًا

واهياً .. »

ساد صمت ثقيل لبرهة ، وأدركت كم هي تمقتنى ..
بعد قليل قالت :

- « فى الحقيقة كنت أظن أنك ستعطى الكتاب اهتماماً
أكثر .. يخيل إلى أنك تعاملت معه بشيء من الخفة ،
وكان على أن أتوقع هذا وأنا أعرف كراهيتك للفلسفة ..
تباً ! فلينته هذا الموقف السخيف سريعاً ..

قلت لها :

- « أنا أحب الفلسفة ، لكن حين تجيء من سادتها ! »

والحقيقة هى أن العدوانية التى تسربت إلى نفسى
لم يكن لها سوى سبب واحد غريب .. أتنى وجدت
(كاميليا) أقبح مما أذكره عنها ، وتصرفت بأسلوب
الرجل الذى يحاول الخلاص من متسول لزوج يدس
رأسه الأشعث فى نافذة سيارته ..

ما سرّ هذه القسوة ؟ لا أدرى .. لكننى صرت أقل
استعداداً للمجاملة ..

وحين انتهت الجلسة ، ودعتها ووعدتها بأن أحضر
لها الكتاب سريعاً ..

سيسعدنى الخلاص من هذا الكابوس سريعاً ..

السبت ٢ مايو :

الحاجة (فتحية أبو الروس) ..

فى الخمسين من عمرها ، تعاني فقر دم بالغاً لم يتضح سببه لنا بعد ، لكننا كنا نعرف شيئاً واحداً :
هذه المرأة تعاني بشدة .. إنها تجاهد من أجل الهواء ، عاجزة عن الرقاد ، ولون بشرتها يحاكي لون هذه الورقة ..

قمت بتياس ضغط دمها ، فوجدته منخفضاً .. قلت للطبيب المقيم الواقف معى جوار فراشها :

- « إنها على حافة الصدمة .. ماذا تنتظر لتعطيها المحاليل الوريدية ؟ »

قال فى شىء من حياء وهو يتراجع خطوة :

- « قلبها يا سيدى .. إن حالة قلبها لن تتحمل المحاليل كما تـ .. »

هنا صعد الدم إلى رأسى .. ربما أقبل الجهل لكنى لا أقبل الوقاحة ، وفى عصبية صحت :

- « أرجو أن تصح لي مفاهيمي .. من هو الأستاذ
ومن الطبيب المقيم حديث الخبرة ؟

ابتلع ريقه .. كان يفضل أن يصمت لكن الأمر كان
أقوى منه ، فقال :

- « معاذ الله أن أعترض .. لكن سيادتكم لم تصغ
إلى رأييها .. إن حالتها تزدرب .. »

وأنا قد أقبل الوقاحة لكني لا أتحمل الاحتطاط ، لهذا
صحت بعصبية أكثر :

- « إما أن تبدأ في إعطائها محلولاً وريدياً الآن
- وليكن (الدكستروز) - وإما أن تبدى الشجاعة ذاتها
في أثناء التحقيق معك .. »

واستدرت كي تكون لي الكلمة الأخيرة ..

وبعد ساعة سمعت طريقة على باب مكتبي ..

كان هذا هو د. (رأفت) صديقي ، وقد حياتي
وقال كالعادة :

- « ما شاء الله ! عيني عليك .. »

لكنى لاحظت أنه يريد إخراج كلمة محشورة فى حلقه ، ولا تريد أن تخرج ، ثم فى النهاية تحامل وقال متحاشياً نظراتى :

- « هل أمرت بإعطاء مريضة فقر الدم لترين من (الدكستروز) ؟ »

قلت فى سخرية :

- « الأخبار تنتشر بسرعة هذه الأيام .. »

قال فى كياسة :

- « لماذا ؟ أنت تعرف أن رئيتها ليستا على مايرام .. إن شيئاً كهذا سيؤدى إلى تفاقم هبوط القلب .. ربما إلى (الأودىما) الرئوية .. »

صمت وقد تحولت إلى بركان آدمى :

- « هل جرؤ الفتى على مخالفة أوامرى ؟ »

رفع كفه ليهدئ من روعى ، وقال بذات الكياسة :

- « لم يحدث .. أنا مررت على فراشها ووجدت المحلول معلقاً ، ولمته على ذلك .. لكنه قال إن هذا

أمر مباشر منك .. لقد سمحت لنفسى بأن أوقف
المحاليل ، وأحققتها بالـ (فروسيمايد) المدرّ مع خلايا
الدم الحمراء المحزومة .. وبالطبع قمت برفع ضغطها
بأساليب أخرى غير المحاليل .. »

طبعاً لم يحدث هذا .. معرفتى بالبشر تقول إن هذا
لم يحدث ..

أستطيع أن أرى الطبيب المقيم يهرع مولولاً إلى
د. (رأفت) فى مكتبه ، ويقول له فى هلع : « افعل
شيئاً .. د. (رفعت) طلب كذا وكذا .. » ، فينهض
(رأفت) ويربّت على كتف الفتى قائلاً : « سأصرف
أنا فلا تقلق .. لكن لا تنفذ الأمر طبعاً .. أحسنت
إذ أخبرتنى .. » .

قلت فى ضيق لـ (رأفت) :

- « كيف تسمح لنفسك بمعارضة ما كتبت من
علاج ؟

آى آى ! إنه الصدام ! هكذا قال لنفسه ، وابتلع
ريقه وقال :

- « (رفعت) .. نحن نتحدث عن حياة إنسان
ها هنا .. لا مجال للمجاملة أو الكبرياء الشخصية ..
أعتقد أن ثمة خطأ ما حدث منك ، ونحمد الله أن
ضرراً لم يقع .. الواقع أنك لست على ما يرام هذه
الأيام .. »

قلت في ضيق كالعادة :

- « إبنى بخير حال هذه الأيام بالذات .. »
- « صحيحاً .. نعم .. لكن شيئاً من التهور والاستخفاف
بدأ يتبدى فى تصرفاتك .. أحياناً أشعر أنك .. »
وبحث عن لفظة مناسبة ، ثم قال :
- « أنك فى الخامسة والعشرين من العمر ! »

كان محقاً فى الرقم على الأقل .. بالفعل أشعر أننى فى
سن الخامسة والعشرين أو أكثر قليلاً .. لكنه - فيما عدا
هذا - مخطئ على طول الخط .. مخطئ وبالتأكيد وقح ..

وقبل أن أردَ قام هو بـ (التاكتيك) الشهير فى
المشاجرات : اتصرف .. وظللت وحدى أعلى .. لن يمرَ
هذا الحادث على خير .. سأعرف كيف أنتقم وكيف
أؤدب الشاب المستهتر ..

الأحد ٣ مايو:

مرّ على (عزت) فى التاسعة مساءً ، ليخبرنى بأنه قد رتب لى لقاء فى المعرض إياه مع الرسامة الشابة (نجلاء) .. لابد أن نتبادل بضع عبارات قبل أن أستطيع زيارة أهلها ..

فى المعتاد كنت سأجد أن الذهاب إلى (الإسكندرية) ثلاث مرات فى أسبوع واحد أمر عسير ، لكنى كنت الآن نشيطاً كالبراغيث .. وافقته على الفور ، وقررت أن يكون اللقاء غداً فى السادسة مساءً .. وهو لقاء لتحديد لقاء ..

الاثنين ٤ مايو:

رحت أتأمل اللوحات فى المعرض مع (عزت) بانتظار مجيئها .. ولا أدرى لماذا شعرت بأن الرسوم جميلة بالفعل .. لماذا لم ترق لى حين رأيته منذ أسبوع ؟

بعد قليل وصلت (نجلاء) .. كانت مرتبكة بحق ، وبدا التكلف واضحاً على كلماتها وحركاتها .. شتان بين أن تعرف ولا تعرف ..

كانت لى موقف مماثلة مع د. (محمد شاهين) ..
لكن الرجل - تذكرون - فضيحة مجسمة لا يكف عن
لفت الأنظار ، لكن (عزت) كان ذكياً كَيْساً بشكل
واضح .. وبعد دقيقتين لمح صديقاً له من بعيد ،
فصاح يناديه ، ثم هز رأسه لنا فى تهذيب معتذراً لأن
« لى كلمتان مع هذا الفتى » ، وتركنا وابتعد ..

ظللنا صامتين لفترة لا بأس بها ، ثم قطعت الصمت
قائلاً :

- « إن لوحاتك جميلة جداً .. »

احمرَ وجهها كالطماطم ، وأطرقت وهمست :

- « هذه مجاملة .. الأستاذ (عزت) قال لى إنك
كنت ترسم .. هل كنت مولعاً بالفن الكلاسيكى أم
التجريد ؟ هل ثمة مدرسة معينة تحبها ؟ »

- « طبعاً .. مدرسة (الأورمان) الإعدادية !
نياهاهاهاه ! »

دعابة ظريفة ، لكنها اكتفت بأن ابتسمت ، ومن
جديد سألتنى :

- « أتحدث جدًّا .. هل تحب مدرسة معينة ؟ »

الحقيقة أن اسم أية مدرسة لم يخطر ببالي لحظتها ،
فقلت وأنا أنقل ساقى كاشفاً عن توترى :

- « كلها تعجبني .. كلهم بارعون بحق .. »

بعد قليل بدأ الكلام يتطور إلى موضوعات أكثر
حرجًا .. مثل :

- « لماذا يتزوج الرجال فى رأيك ؟ »

هذه الحمقاء تعتبر أنها فى حوار صحفى مع (ألبير
كامى) .. والمفترض أن أقدم لها ردًّا مقنعًا .. قلت
لها :

- « يتزوج الرجال حين لا يجدون شيئاً أفضل
يفعلونه .. »

بدأت لها دعاية طريفة فأحمرَ وجهها من قليل ..
وفهمت أن احمرار وجهها هو نوع من القهقهة ..
ويبدو أنها اكتفت بهذه الإجابة ، فبدأت تسألنى عن
رأى فى الأوضاع السياسية للبلاد ، وعن مستقبل التجربة
الاشتراكية ، وعن الحرب القادمة مع (إسرائيل) ..

إنها تحسب نفسها تحاور (أحمد بهاء الدين) على ما يبدو .. قلت لها ما استطعت قوله ، ثم أنهيت الكلام بلهجة تقريرية :

- « أنا راغب فى التقدم لك .. فمتى أستطيع الذهاب إلى دارك ؟ »

لم تعلق .. يبدو أنها لم تتوقع هذا الهجوم ..

هنا أنقذها (عزت) إذ جاء مترنحاً يرتعش من البرد ، وقال بلا مناسبة :

- « معذرة فهذا الفتى ثرثار حقاً .. إن (نجلاء) أختى يا (رفعت) ، وأنا لا أطيق مضايقتها .. لعلك لم تعطها حمّامك الثقافى الشهير .. إن الرفق خصلة حميدة خاصة إذا كان بقارورة كهذه .. »

- « اطمئن .. »

قلتها فى غرور ضاحك ، ثم إن الفتاة هزت رأسها فى أدب طالبة الانصراف ، فحياها (عزت) ..

ووقفنا بضع ثوان تصطك أسناننا برداً .. وفى النهاية قال لى :



قلتها فى غرور ضاحك ، ثم إن الفتاة هزت رأسها فى أدب
طالبة الانصراف ، فحياها (عزت) ..

- « ما رأيك ؟ »

- « لم تبد كبيرة السن إلى هذا الحد في لقائنا الأول .. »

- « كبيرة ؟ إنها زهرة لا تشيخ أبداً .. والآن سأعرف منها موعد اللقاء في دارها ، وعليك - أيها الذكي - أن تذهب وحدك هذه المرة .. أنا لا صفة لى هنا .. »

- « هل سنعود إلى القاهرة الآن ؟ »

- « بالتأكيد .. هل لديك خطط أخرى ؟ »

- « فلنتنزه ! لنمش على (الكورنيش) قليلاً .. »

- « في هذا الزمهرير ؟ حقاً أنت تغيرت يا (رفعت) .. كنت أعرف شخصاً يشبهك لا شيء يغريه في الحياة سوى فراش دافئ .. »

وقد كان ما اقترحته ..

الثلاثاء ٥ مايو :

عند الغروب جاءنى (عزت) ، وكان وجهه متحفظاً .. قال لى :

- « فيم تحدثتما بالضبط أمس ؟ »

- « فى كل ما يخطر ببالك .. »

هز رأسه فى حيرة ، وقال :

- « لماذا لم تبهرها بعقليتك الجبارة ؟ يبدو أنك بالغت

فى المزاح بعض الشيء هذه هى مشكلتى معك .. »

تساءلت وقد بدأ الموضوع يتضح لى :

- « لم أرق لها .. هه ؟ »

- « شعرت بأنك ضحل إلى حد ما ، وربما خاوى

العقل أيضاً .. قالت إنها شعرت بأنها تكلم من يصغرها

بعشر سنوات على الأقل .. إن المرأة تحب أن تشعر

بأن زوجها أكبر سناً أو أرجح عقلاً أو أوسع تجربة ..

أو - على الأقل - أثقل جيباً .. ومن الواضح أنك لم

تعطها الإيحاء الذى كان عليك أن تعطيه .. »

قلت مغتاظاً :

- « تباً لها ! لم يكن هذا نقاشاً بل كان استجواباً ..

أنا أرفض أن يختبرنى أحد .. معنى هذا أن زيارتى

لدارها قد ألغيت ؟ »

- « طبعًا .. لا يوجد نصيب »

- « سحقا لها ! أنا أيضًا لم أر فيها أى جمال ..
إنها قد خطت أول خطوة فى طريق العنوسة ،
ولسوف تستكملة بلاشك .. وهناك شىء آخر : أعتقد
أن هذه الفتاة تميل إليك ! »

- « (رفعت) ! هل جنت ؟ »

- « الأمر واضح .. هى لا تأتى إلا حين تدعوها أنت ،
ولا تثق إلا بمن تثق أنت به .. (نادانى حبيبى جيت
بلا سؤال) كما تقول (فيروز) ..
الأمر واضح يا أخ (عزت) وإننى لأتمنى لك
التوفيق ! »

لم يجد الكلمات كى يعبر عن غيظه ، وراح يرتجف
ويترنج ، وازداد وجهه سوادًا حتى صار صالحًا لوضعه
فى المراجع الطبية تحت اسم (مرض أديسون) .

- « (رفعت) أنت تهينها وتهيننى .. ماذا دهاك ؟
تتصرف كطفل أخرق .. ثمة حدود للكلام يحسن
التوقف عندها .. أنا الذى .. »

- « صمًا ! »

قلتها ودفعته دفعا خارج شقتى ، وأغلقت الباب ..

ألن ينتهى كل هذا الذباب ؟ ألن ينتهى أبدا ؟

صبرا أيتها الرسامة الاسكندرية البلهاء .. ستدفعين

ثمن رفض (رفعت إسماعيل) غاليا .. أنا لا أرفض ..

هذه حقيقة يجب أن تعرفيها ..

أنا لا أرفض ..

لكنى أرفض متى أريد ..

★ ★ ★

ثلاثون !

الأربعاء ٦ مايو:

صباح العسل !

صحوت من النوم فى خير حال .. مرح غامر وحباً
مجنون للحياة يطيح بتوازنى .. ذهبت كى أحلق ذقتى
فوجدت فى المرأة عجباً ..

لم يعد فى رأسى موضع خال من الشعر .. شعر
أسود جميل لامع .. وجهى وجه صبى .. والغريب أن
شاربى الكث لم يعد هناك .. صارت فى مكانه بقعة
من الزغب الذى لم يستقر بعد على لونه النهائى :
البنى أم الأسود ؟

ولم تكن لى لحية على الإطلاق ..

يذكرنى هذا بصورة قديمة لى جوار خالى .. وقد كتب
عليها (ستوديو آرت بالمنصورة) .. كان تاريخ هذه
الصورة هو عام ١٩٤٠ .. بينما قتابل (هتلر) تهوى

فى سماء القاهرة ، و (العقاد) قد فرّ إلى (أسوان)
كى لا يعتقله النازيون ..

رحت أصفر لحناً مرحاً ، وفتحت الراديو لأسمع صوت
(عبد الحليم حافظ) الرخيم .. ما أجمل أن تملأ المكان
والزمان ! ما أجمل أن توجد !

لكن هناك مشكلة .. عسير أن أذهب إلى المستشفى
بهذا المظهر ..

لن يصدق أحد أننى (رفعت) .. فكرت فى شارب
مستعار وبعض المسحوق الأبيض ليبدو كالشيب ،
لكنى وجدتها فكرة بلهاء ..

قررت أن أنزل لأشتري إفطاراً .. إن جوعاً شديداً
يمزقتنى الآن .. لم تنفتح شهيتى لهذه الدرجة من قبل ..
نزلت إلى الشارع أصفر وأتبختر ..

كان هناك غلام فى طريقه للمدرسة - التى لن
يصلها غالباً - يلهو بكرة (شراب) ، وقد غاب تماماً
عن الوجود .. مشيت وراءه وقلت فى مرح :

- « بكعبك يا كابتن ! »

نظر للوراء فرأى ، وبلا مبالاة سدّد الكرة نحوى .
فَقَمْتُ بـ (تَنْطِيقُهَا) عدة مرات ، ثم باصَيْتُهَا له ..
قَضِينَا عدة دقائق نتبادل الكرة ، ثم بدا عليه الذعر
وسألنى :

- « كم الساعة الآن ! »

نظرت إلى ساعتى .. إنها الثامنة والنصف .. قلت له
ضاحكا :

- « انتهى الأمر ! أما زالت هناك مدارس فى مايو ؟ »

لكنه لم يصغ لى ، واندفع يجرى مذعورا حتى غاب
عن عيني ..

يا سلام على رائحة الربيع ! إن مصر لا تعرف
الربيع بالمعنى المتفق عليه ، ولكنه فصل من عواصف
الخماسين .. الربيع فى مصر هو فصل الروائح العطرة
القادمة من الحقول المحروثة البعيدة ، والتي تحرك فى
أعماقك ألف عاطفة ..

وفجأة شعرت بحزن عميق .. أنا وحيد بانس منبوذ ..
لا أحد يحبنى .. سأرحل إلى أقصى الأرض لأواجه قدرى .

وأموت وحيداً ككلب عقور ، بينما فى لحظة الاحتضار
الأخير سأهمس باسمها ..

من هى ؟ »

هى التى تملك كل أفكارى وأحلامى وآهاتى .. هى التى
لا تعرف أنها هى .. هى التى سآحارب الغيلان من أجلها .
وأرسلها مع تحياتى لتخدمها بإخلاص .. هى .. ولكن
من هى ؟

المشكلة هى أنه ليست عندى واحدة .. أنا حزين
تعيس كنيب متفرد فى كآبتى .. كانت هذه الخواطر كفيلة
بأن تنحدر العبرات من عينى .. وتبدل مزاجى كما تتبدل
السماء عند قدوم العاصفة .. رباہ ! ألن ينتهى كل
هذا الألم ؟ »

اشتريت ستة ساندوتشات .. سأقتصد اليوم لأننى
حزين .. إن الفول والطعمية لقادران على دفن أحزائى
إلى حد ما ..

وعدت إلى الدار ، ونسيت كل هذا الحزن ، لأن
شمس الربيع أشرقت من جديد فى داخلى ..

وقفت فى الشرفة أرمق الشارع .. غريب أننى لم
أعتد هذا النشاط من قبل .. لقد قضيت ما مضى
من حياتى فى قوقعة .

هنا وقعت عيناى على أجمل شىء فى العالم ..

كانت هذه هى (هالة) ابنة الأستاذ (زكريا)
جارى ، وقد غادرت البناية قاصدة كليتها على ما أظن
لأنها تحمل كتاباً فى يدها .. رباة ! إننى لأحمق هذه
الحسنة تسكن على بعد أمتار منى ، ولم ألحظها قط
كأنها نسيج عنكبوت أراه بطرف عيني وأنا أصعد
السلم أو أهبط منه .

إنها فى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة .. أى أنها
- رسمياً - فى عمر بناتى .. لكن من الناحية الفسيولوجية
المستجدة على ، أشعر ، بأنها أكبر منى بثلاثة أو أربعة
أعوام .. (أبله) لكنها لم تكبر بعد لتصير (طانط) ..

نعم .. الحقيقة هى أننى كنت أسترجع كل مشاعر
وأحاسيس مراهمتى .. ويبدو أننى من ناحية الشكل
والأفكار لا أتجاوز ستة عشر عاماً .

لكنها بالتأكيد ستنبهر بى لو صارحتها بحبى - نعم ..

كنت الآن أهميم بها حباً فجأة - باعتبارى أستاذ جامعة
ناضجاً خبر الدنيا وخبرته ..

أنا الآن أكتب هذه الخواطر فى مفكرتى ، ولا أدرى
لماذا أجد بعض الصعوبة فى التعبير عن نفسى .. لم
تعد اللغة تـ .. تـ (تهاودنى) كما كانت ..

إلى متى يستمر هذا التبدل ؟ إلى متى سأظل أصغر ؟
فى الغالب هذه هى نهاية التجربة ، وهى نهاية رانعة
جداً .. ما المشكلة ؟ سيكون على أن أعلم زملائى
كيف يعتادون شكلى الجديد ، وكيف لا يسألون ..

المهم الآن أن أدبر موضوع الغداء لأن الجوع قد
بدأ يؤلمنى ، و (عصافير بطنى تزقزق) ..

الخميس ٧ مايو:

أحب الخميس ! من طفولتى أحب هذا اليوم لأن
غداً الجمعة إجازة .. والغريب أن الجمعة لا يكون
ممتعاً لأنك تقلق بخصوص السبت غداً ..

لكنى الآن أجد شيئاً مبهرًا .. أنا فى سن المراهقة
لكن ليس على أن أذهب إلى المدرسة ، أو أتلقى
توجيهات أهلى ، أو أطالب بالمصروف ..

أنا المراهق الوحيد الذى يعيش وحده ، ويملك
(فلوس) ، وله وظيفة مهمة .. إن المستقبل كله
ملكى .. (*)

شعرت بالسعادة فرحت أجرى فى الصلاة وأتسقلب ،
وأتنطط فوق المقاعد .. ثم فتحت الراديو على أغنية
لعبد الحليم حافظ ..

بعد هذا جلست أكتب (جواب غرامى) لحبيبتي
(هالة) .. بالطبع لم أجد حرفاً أقوله .. (أنا أحبك
يا حبيبتي حباً ملك علياً فؤادى) .. لا .. لا ..
غير معقول ..

كانت لدى كتب كثيرة لا أعرف فائدتها .. أعوذ
بالله ! عناوين تجعلك تقشعر .. (تاريخ تحضير
الأرواح) .. (الوجود والعدم) .. (مصير إنسان) ..
(أرخص ليالى) .. (بلابل من الشرق) .. ياه ! كيف
كنت أجد الصبر كى أقرأ هذا الكلام (الدبش) .. كانت
هناك كتب كثيرة بالإنجليزية ، وقد لاحظت أن إنجليزيتي
لم (تعود) على مايرام .. فلم أفهم عن ماذا تتكلم ..

(★) ستكون اللغة بدءاً من هذا الجزء ركيكة مليئة بالأخطاء
النحوية . وقد وضعتها بين قوسين على كل حال .

أخيراً وجدت ديوان شعر لـ (أبو القاسم الشابي)
ففتحتّه وبحثت عن (كلام حبّ) حتّى وقعت عيني
على قصيدة معينة ، فكتبت منها سطرًا أو سطرين ،
ووقعت تحتها (حبيبك رفعت) .. ووجهت الخطاب
إلى (نور عيني وحبّية قلبي هالة) ..

الآن كانت هناك مشكلة إرسال الخطاب .. وقد حلت
نفسها لأن (هالة) كانت فى الشرفه عصرًا ، وكان
بوسعى أن أقذف الخطاب .. قمت بلفه حول نفسه
وأمسكته بمشبك غسيل ، ثم (نشنت) بعناية ،
وقذفته ليقع فى الشرفه عند قدميها .. لاحظ أن
شرفتها تقع تحت شرفتي مباشرة ..

ودخلت بسرعة قبل أن ترائى ، ورحت أضحك
و (أنط) فرحًا .. أما أنا !

بعد هذا نزلت إلى الشارع ..

كانت الـ (الهدوم) الموجودة عندى قديمة جدًا ،
ولا تمشى مع (الموضة) ..

لقد كان ذوقى فى الهدوم (زى الزفت) .. لكن
الواقع تغير ..

ذهبت إلى أحد المحلات فاشتريت (قميص)
مشجّر ، و (بنطلون) واسع القدمين (شارلستون)
حسب الموضة .. هكذا أنا ابن السبعينات حقاً ..

وذهبت للحلاق كي يصفف شعري ويكويه لينسدل
على كتفي .. مازال لم يصل لهذا الطول ، لكن بالصبر
يهون كل شيء ..

والآن ترون (رفعت إسماعيل) الجديد .. يقف
بثيابه زاهية الألوان على الناصية ، يطوّح سلسلة
مفاتيحه ويمضغ (لبانة) ..

إن التطورات الأخيرة في حياتي عظيمة جداً ..

★ ★ ★

وعندما جاءت الساعة الحادية عشرة مساءً قررت
أن (أتفسح) بالسيارة قليلاً .. أنا أول مراهق يملك
سيارة تحت تصرفه لها رخصة ، وهو نفسه يملك
رخصة قيادة .. صحيح أنها عتيقة جداً ولن تعجب
البنات ، لكنها سيارة على كل حال ..

لحسن الحظ لم يكن خفير الجراج موجوداً عندما

أدريتها .. احتكتك بجانب السيارة التى على يمينى .
لكننى قلت إن صاحبها لن يعرف الفاعل أبداً .. لو حدث
هذا من أسبوعين لوقفت وملأت الدنيا صراخاً ، ولرحت
أبحث عن صاحبها لأقول له بكل احترام : « أنا فعلت
هذا .. طلباتك ؟ »

لكن الأمور تغيرت .. لم أعد ذلك العجوز الأحمق ..
وانطلقت (أمريكائى) انطلاقة صاخبة جداً أثارت
إعجاب الجميع ، ورحت أقوم ببعض (الغرز) البارعة
كلما رأيت سيارة يقودها رجل هادئ مسالم ، حتى
أثير الرعب فى نفسه ..

وتحمس شاب فى سيارة رياضية كى يسابقتى ..
ولمدة دقائق ارتجف الشارع رعباً من هذا السباق
المخيف ، ثم - بالطبع - كانت سيارته أصبى وأقوى ،
وأخرج يده اليسرى ملوحاً بالسيجارة يحيينى فى
سخرية وهو يبتعد ..

كدت أموت غيظاً ، وأسودت الدنيا فى عينى .. إن
الحياة قاسية لا تستحق أن نعيشها .. يجب أن أقتل
نفسى .. لقد سبقتنى ! سبقتنى وسخر منى !

رحت أقود السيارة شارد الذهن شاعرا بخيبتى ..
وكانت هناك لجنة مرور تسد الطريق .. ياللكارثة !
من المستحيل أن يصدقوا كلامى أو يجدوا أننى أشبه
صورتى فى الرخصة .. هذه مشكلة أخرى ..

نكن كانت هناك مشكلة مع سائق (تاكسى) ، خرج
من سيارته وراح يعوى ويصرخ محاولاً إقناع الضابط
بأن يعيد له رخصته ، وجاء دورى لأمر من الفتحة
الضيقة .. هنا أشار لى (الصول) فى ملل كى أمر ،
وراح يتابع المشكلة دون أن ينظر لى مرتين ..

وهكذا نجوت بمعجزة !

يجب أن أضع بعض (المكياج) لأبدو شبيهاً
بالصورة ..

واصلت القيادة حتى وجدته !

من ؟ طبعاً صاحب السيارة الرياضية إياه .. كان
يقف بسيارته أمام كافترىا صغيرة .. كان جالساً فى
السيارة بينما وقف ثلاثة فتيان وفتاتان يشربون
العصير ويتحدثون معه ، وقد أراح أحدهم ردفه عنى
مقدمة السيارة ..

أوقفت سيارتي بدورى ، وقد صعد الدم إلى رأسى
(كما كنت أقول زمان) ، ونزلت .. مشيت نحوه بثقة
و ... وتؤدة كما يقولون ..

خبطت على زجاج النافذة الأيمن ، فنظر لى فى ضيق
والسيجارة تتدلى من فمه ، ثم أنزل الزجاج لسمع
ما أقول من سخف ..

قلت له فى عصبية :

- « عيب يا كابتن ! »

- « أى عيب ؟ »

أشرت لسيارتي وقلت :

- « أنا صاحب هذه السيارة .. لقد كدت تصطدم

بى من ربع ساعة .. »

نظر للسيارة لحظة ، ثم راح يهتز بالضحك ،
وبدورهم راح أفراد العصابة يضحكون :

- « هل .. هل هذه سيارة ولا مؤاخدة ؟ حسبتها ..

حسبتها .. صندوق قمامة ! »

غلى الدم فى عروقى .. بالطبع هو لم يصطدم بى
لكنى كنت بحاجة إلى التحرش به .. لذا صحت :

- « يبدو أنك لم تتعلم الأدب ! »

هنا وجم الجميع ، أما هو فأشار لزملائه مهدناً ..
مهلاً .. مهلاً .. دعوا الأمر لى .. وفتح باب سيارته
والسيجارة مازالت تتدلى من فمه ، وقال :

- « معذرة .. إن أذننى ليست على ما يرام .. يبدو
أننى سمعتك تتكلم كالرجال .. »

قلت فى ثبات وأنا أضرب قبضتى بكفى :

- « أنا رجل برغمك .. وأكررها : أنت قليل الأدب .. »

دنا منى حتى صار على بعد متر ، والتفت إلى رفاقه
الذين بدا عليهم الاستمتاع كأنما يريدون ما هو أكثر ،
وقال بلهجة من يهدئ الأمور :

- « صبراً .. صبراً هذا رجل طيب ومن السفالة أن
نعامله كما .. »

وتوقعت ما سيحدث لأننى أرى أفلام (تشارلز
برونسون) كثيراً ، وهو أيضاً يراها .. لقد استدار

نحوى فجأة ووجه لى لكمة قوية ، لكنى ثنيت قدمى
ووثبت لأدفن رأسى فى بطنه .. وبدأت المعركة ..

كنا ساقطين على مقدمة سيارته نتبادل اللكمات ،
ولو لم يتدخل رفاقه لكان النصر نصيبى .. لكنهم
تحمسوا واتقضوا على بدورهم .. واحد أحاط عنقى من
الخلف بساعده ، وواحد ضربنى فى بطنى . وواحد لكمنى
فى فكى ، وتطوَّعت فتاة بأن تغرس مخالبها فى وجهى ..
كنا نقاتل ، وقد أوشكوا على (التخليص على) ، لولا
أن سمعنا من يشتمنا بصوت عال ، وشعرنا بأيد ثقيلة
تجذب كلاً منا من قفاه ، ثم وجدت نفسى فى (البوكس) ..
يبدو أنها دورية شرطة كانت تمسح المنطقة ،
فوجدت هذا المنظر الغريب ..

وفى قسم شرطة (...) عوملنا أحسن معاملة ..
بضع صفعات ثم حلقوا لى شعرى (زيرو) كى يكون
درساً لشباب مستهتر مثلى .. لا شىء غير هذا ..

جاء أقارب الفتية الأربعة واصطحبوا أبناءهم ، أما أنا
فلم أجرو طبعاً على قول من أنا .. وبالطبع لم يسألنى أحد
عن بطاقتى لأننى كنت أبدو حدثاً .. فى النهاية قلت
للصول رقم تليفون (عزت) باعتباره أقرب أقاربى ..



ووجه لى لكمة قوية ، لكنى ثنيت قدمي ووثبت لأدفن
رأسي فى بطنه .. وبدأت المعركة ..

وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَخِيلَ وَجْهَهُ (عَزَتْ) حِينَ قَالَ لَهُ
الصَّوْلُ :

- « إِنْ (رَفَعْتَ إِسْمَاعِيلَ) عِنْدَنَا .. مُشَاجِرَةً مَعَ
شَبَابٍ مُسْتَهْتَرٍ مِثْلِهِ .. قَالَ لَنَا إِنَّكَ وَلِيُّ أَمْرِهِ ! »

وَبَعْدَ سَاعَةٍ - كَمَا تَمَنَيْتُ - جَاءَ (عَزَتْ) مَمْتَقِعِ
الْوَجْهِ (مَذْهُوْلٍ) .. وَرَأَى فَلَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا ، لَكِنِّي
قُلْتُ لَهُ :

- « أَنَا (رَفَعْتُ) يَا (عَزَتْ) .. صَدَقْتَنِي .. خَذْنِي
مَعَكَ وَوَقِّعْ بِالْإِسْتِلَامِ وَسَوْفَ أَخْبِرُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ .. »

وَقَعَ بِالْإِسْتِلَامِ ، وَهُوَ لَا يَرْفَعُ (عَيْنَاهُ) عَنْ وَجْهِهِ ..

وَحِينَ غَادَرْنَا الْقَسَمَ كَادَ يُوقِفُ (تَاكْسِي) ، لَكِنِّي
قُلْتُ لَهُ إِنْ سَيَّارَتِي قَرِيبَةٌ حَيْثُ تَرَكْتُهَا مِنْذُ (ثَلَاثَةِ)
سَاعَاتٍ .. وَمَشِينَا فِي ظِلَامٍ مَا بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ إِلَى
هَنَّاكَ صَامَتَيْنِ ، وَيَبْدُو أَنَّهُ لَمْ يَصْذَقْ حَتَّى اللَّحْظَةِ الَّتِي
أَخْرَجْتَ فِيهَا الْمِفْتَاحَ وَأَدْرَتِ الْمَحْرَكَ ..

صَاحَ فِي ذَعْرِ :

- « مَاذَا حَدَثَ يَا أَحْمَقُ ؟ » هَلْ أَنْتَ (رَفَعْتَ) أَمْ لَا ؟

إن عينيك ولهجتك وملامحك تقول إنك هو .. لكن ..
مهلاً ! لا تنهز في القيادة ! لقد كدت تصطدم بهذه
الشاحنة ! »

قلت في مرح :

- « لا عليك .. أنا لا (أخيش) أبداً ! »

يبدو أنها كانت رحلة مريضة له . اكفى (أثنائها) حكيت
له كل شيء .. وحين وصلنا البيت أخيراً ، طلع السلم
دون كلمة أخرى ، ووقف على باب شقتي ينتظرني
حتى فتحت له ..

بعد دقائق راح يكلم فيها نفسه قال :

- « ألن تنتهي من كل هذه الغرائب ؟ أتمنى أن تكف
عن تحطيم أعصابي بكل مفاجآتك التي لا تنتهي .. اليوم
أنت صبي مراهق وأمس كان وباء التيفوس يزورني
في داري طالباً المبيت .. ثم ماذا ؟ »

إن اليوم الذي تصحو فيه وتنام كباقي البشر هو
يوم غريب بحق ! »

قلت له باستهتار :

- « كل ما هناك أننى استرددت شبابى .. هذا هو حلم الناس من (دشنيون) سنة .. »
- « ألسنت مذعورا من هذا ؟ وبعد أسبوع كم سيكون عمرك ؟ »
- « أعتقد أننى توقفت هنا .. »
- ساد الصمت .. وقال بعد تفكير :
- « هذا هو سرّ تصرفك الطفولى السخيف مع (نجلاء) .. بدأت أفهم .. »
- « تلك الشمطاء ؟ لا تعكر مزاجى من فضلك .. »
- لم يعلق .. قال وهو (يمشى) فى أرجاء الصالة حائراً :
- « (رفعت) .. لو كنت مكانك لاتصلت بهذا المعالج الرومانى طالباً النصح .. يجب أن ينتهى علاجه .. »
- « أنا لا أحمل هم هذا .. »
- « إذن عش حياتك كما تشاء .. لكن على الأقل أريد شينين : مفتاح شقتك كى أستطيع الدخول لو حدث شىء ما .. وعنوان ورقم هاتف الرومانى .. »

كانت عندى نسخة من مفتاح الشقة فأعطيته إياها
بلا مبالاة .. ماذا يمكن أن يحدث لو كانت عنده ؟
وأعطيته عنوان ورقم هاتف الرومانى فى (نيويورك) ..
تمنى لى ليلة طيبة ، وانصرف وهو (يبرطم) ..
كانت الساعة الرابعة صباحاً ، لذا كتبت بسرعة
حصاد اليوم ثم سأنام الآن ..

مساء العسل !

الجمعة ٨ مايو :

فى العاشرة صباحاً دق جرس الباب بحزم ففتحته ..
كان هذا هو الأستاذ (زكريا) جارى وأبو حبيبتى
(هالة) .. عرفت أنه (ناوى على شر) من نظرتة ،
ومن الورقة المطوية التى يحملها ..

كان هذا هو الخطاب الذى أرسلته لهالة أمس !

قال لى فى حزم :

- « أين الدكتور (رفعت) أيها الصبى ؟ هل أنت
قريبة ؟ »

حقاً كانت هذه الإجابة التى أريدها ، فقلت فى ارتباك :

- « هو ليس هنا يا (عمو) .. أنا (خالد) ابن شقيقته .. »

احمرَ وجهه كالطماطم ، وقال :

- « كنت أريد الكلام معك .. لكن ما الفائدة ؟ إن العبرة بالكبار الذين يتركون للصغار الحبل على الغارب .. إن لى كلمتين مع خالك يا فتى ، وسوف يسره أن يعرف أنك استخدمت اسمه فى خطاب غرامى لابنتى ! »

خشيت أن أستفزَ الرجل أكثر من اللازم .. لقد كان (مصاب) بارتفاع الضغط ، وقد أصابه نزف مخى منذ فترة شفى منه بصعوبة ..

لهذا قلت فى (كسوف) وأنا أنظر للأرض :

- « كما تأمر يا (عمو) .. إنه سيعود فى المساء .. »

- « جميل .. ولا تتوقع أننى سامحتك على شىء ، لكنى فقط أتخير من أريد أن أدخل السجن بسبب تهشيم رءوسهم .. »

ودون كلمة أخرى اتصرف ..

دخلت الشقة ، وفتحت الراديو حتى وجدت أغنية حزينة لـ (فيروز) تقول :

« باكتب اسمك يا حبيبي عالخور العتيق ..

تكتب اسمي يا حبيبي عا رمل الطريق .. »

ودمعت عيناى تأثراً .. أنا أكتب اسمك يا حبيبتى
على قصائد (الشابى) ، أما أنت فتعطينها لأبيك ..
كى يكتب اسمى فى محاضر البوليس !!

أواد من الحب ! ما أقساه ! خاصة حين يأتى من
طرف واحد بلا أمل فى رضا الطرف الآخر ..

أنا المعذب المنبوذ الذى عانى أهوال الحب ، دون
أن تجفف يدا حبيبته الرقيقة دموعه .. أنا الذى ..

هنا دق جرس التليفون ..

سمعت صوت (كاميليا) تقول : ألو ..

- « مرحباً يا (كاميليا) .. أحلى نهار .. »

- « هل الدكتور (رفعت) موجود يا بنى ؟ »

قالتها بشيء من الحرج والارتباك ، لأن هذا الفتى
عرف اسمها ، ثم إنه ناداها دون ألقاب ..

قلت فى شيء من العسر :

- « أنا هو .. »

- « هل تمزح ؟ أرجوك ناد الدكتور (رفعت) .. »

أقسمت بالله العظيم أن هذا أنا ، وأن صوتى غريب
بسبب البرد وتليف الحنجرة ، ولأؤكد كلامى قلت لها
إن كتابها لا يحوى حرفاً عن (كيركجارد) .. لا أدرى
كيف تذكرت الاسم ..

قالت فى دهشة :

- « غريب هذا يا (رفعت) .. هذا صوت مراهق
يتحسس طريقه بين (سرسعة) الطفولة وخشونة
الرجال .. ما علينا .. متى تجلب لى الكتاب ؟ »

قلت فى ملل :

- « ذلك الكتاب السخيف ؟ لا أدرى أين هو .. لا بد
أن أم (سعد) تخلصت منه .. أرجوك ! لا داعى للإهانات !
إن مزاجى غير رائق اليوم .. دماغك ! سأحضر لك
هذا (المدعوق) بمجرد أن أجده .. سلام ! »

ووضعت السماعة ..

عند العصر تسليت قليلاً بالمعاكسات الهاتفية ..

كنت اطلب الرقم ثم لا أردَ على ائمتكم .. فقط ائمتى
بأن أزوم .. ياد ! لقد ضحكت كثيرا جدا .. وكنت
أتلذذ بكل الشئام التى اتهالت على رأسى ..

وفى المساء اتجهت إلى ستوديو التصوير كى ألتقط
لنفسى صورة جديدة كما وعدت الروماتى .. لا أدرى
لماذا أهتم لكنى أنا نفسى كنت أريد أن أرى الفارق ..
استلمت صورة ٣٠ أبريل .. وقال لى المصور وهو
يتفحص الإيصال :

- « إن أخاك الأكبر يشبهك كثيرا .. لكننى كنت
أفضل لو انتظرت حتى ينمو شعرك ثانية .. لماذا حلقته
بهذا القصر ؟ »

- « لأننى معجب بـ (بول براينر) .. »

طبعاً لم يكن يعرفه ، لكنه استنتج أنه ممثل أو رياضى
شهير أصلع ، وابتسم وهز رأسه بمعنى : يا لشباب
هذه الأيام !

طبعاً لم أكن أستطيع إخباره بأن هذه الحلاقة تم عملها
فى صالون قسم البوليس .. ألا ترى معنى هذا الرأى ؟

★ ★ ★

أربعون !

السبت ٩ مايو :

يبدو أن هناك مشكلة .. (الهدوم) التى اشتريتها
أمس صارت واسعة جدًا .. يبدو أننى صغرت أكثر ..

خفت جدًا أن أنزل إلى الشارع هكذا ، ورحت أرى
نفسى فى مرآة الحمام .. وجهى أصغر بكثير وقد
صرت قصيرة ..

فتحت الثلاجة أبحث عن طعام .. لا أعرف لماذا
أحب الحلوى هكذا ..

أكلت كل الحلوى فى الثلاجة ، ثم بحثت فى
(النملية) عن وعاء السكر وأخذت منه بالمعلقة
(ثلاثة) مرات ..

بعدها دخلت الحمام ، وفتحت مياه الحوض ، ورحت
أتسلى باللعب بالماء وبعثرته على الأرض .. ليست
لدى أم تلومنى على ما أفعله ..

وعند الظهر فتحت التليفزيون وشاهدت (عصفير الجنة) والكارتون .. أنا أحب (ماجد عبد الرزاق) من زمن ، لكنى اليوم شعرت بأننى أريد أن أتعلق بعنقه ، وأنام على ركبتيه .. بابا (ماجد) .. هكذا يسمونه وأفهمهم الآن ..

بحثت كثيراً جداً عن كتاب (كاميليا) ، حتى وجدته تحت السرير .. ورق كثير جداً عليه كلام بخط جميل .. أحضرت قلمًا ورحت أتسلى برسم مدفع ودبابة وضابط وطيارات ..

فى موعد الغداء رن جرس التليفون ، فرفعت السماعة .. سمعت (رأفت) زميلى فى القسم يقول :

- « هل عمّو (رفعت) بجوارك يا حبيبى ؟ »

بالطبع لن يعرف الصوت .. قلت :

- « ليس هنا يا (عمّو) .. »

- « هل أنت قريبه ؟ »

- « أنا ابن أخته .. أنا (رامى) .. هل أخبره

بشئى ؟ »

- « كلا .. لم يأت للمستشفى منذ يوم الأربعاء ..
حسبته مريضاً .. هل هو بخير ؟ »

- « نعم يا (عمو) .. سأخبره أنك اتصلت .. »

ووضعت السماعة ، وبدأت أعدّ الغداء .. مجرد
تسخين لطعام أمس ؛ لأننى لا أعرف كيف أخرج بهذه
التياب .. إشعال البوتاجاز صعب حقاً ، وقد أحرق
الكبريت يدى .

الدنيا ليل الآن .. أضأت كل الأنوار فى الصالة وغرفة
النوم .. أشعر بخوف من الظلام وأنا وحيد ولو دخل أى
شئ الشقة فسوف

لكنى (مكسوف) من أن أذهب لشقة (عزت) ..
جلست وحدى فى الفراش ، وبدأت كتابة مذكرات
اليوم .. لو كان من الممكن أن تروا خطى الآن
لدهشتم ..

صوت شئ يتحرك فى الصالة .. أنا خائف ..
سأغلق باب الحجرة على وأحاول أن أنام ..

الأحد ١٠ مايو:

يا سلام .. الشمس جميلة . لم (أعود) أخاف .
أعرف أن اليوم ١٠ مايو لأننى قرأت هذا فى النتيجة .
أنا جوعان . الهدوم واسعة جدًا (عليا) . أنا أرسـم
(رسوم) جميلة فى ورق طانط (كاميليا) .

أنا ألعب فى الشقة . ووجدت (أقراص) جميلة فى
درج الكومودينو . مكتوب عليها (نيترو) أو .. أريد
أن أبتلعها كلها . لكنى لن أبتلعها لأن الأطفال يمرضون
لو بلعوا (أقراص) الكبار .

أنا جوعان . لا يوجد فى الثلاجة أكل . توجد
(فرخة) لكنها متجمدة ولا أستطيع طبخها . أكلت
بعض السكر . السكر طعمه جميل . أنا أحب السكر .
نفسى كل الدنيا تبقى سكر .

وجدت فى البلكونة (أبو المقص) (واقف) على
السور . أردت أن أمسكه لكنه جرى منى ووقف على
حبل الغسيل .

أشد الكرسى للبلكونة وأقف عليه . أمدّ (إيدى)
للخارج جدًا وأمسكه من جناحه .

سمعت جارتنا تصرخ من بكوتتها :

- « الولد حايقع ! الحقوه ! »

لكنى لم أهتم ، ورفعت بإيدى (أبو المقص) ونزلت
من على الكرسي . وبحثت عن خيط ربطته فى ذيله .
ورحت أتركه ليطير فى الهواء ثم أشده من جديد .
ولما زهقت سبت الخيط فطار (بعيد) عنى .

فتحت التليفزيون وشففت برنامج الأطفال ضحكت
كثير على البطة الغبية (اللى) تحاول الطيران .

بعد كده لعبت فى الحمام (كثير جدًا) . وغسلت
كل اللعب . عندى سيارة بالزمبلك وبطة اشتريتها
لأولاد أختى . أخذتها أنا لنفسى .

جوعان جدًا . الشمس (رَوَحَت) لبيتها . وأنا أكره
الليل . فى الليل (تيجى) حيوانات كثير و (عاوات)
تأكل الأطفال .

لم (أوصل) لمفتاح النور لآنى قصير . شددت
الكرسى ووقفت عليه وأضأت النور . جلست فى السرير
(أمشى) السيارة على الملاءة وأعمل (أصوات) بفى .

ثم قلت إني أكتب المذكرات . أنا لا أعرف السبب .
لكني أشعر إن المذكرات مهمة جدًا ، خطي جميل وعلى
النسطر ، ووضعت كل (النقط) والهمزات مكانها ،
لو أبله (مفيدة) مدرستي في الابتدائي رأت هذه الكتابة .
بالتأكيد ستعطيني النمرة النهائية ونجمة .

يارب (تيجي) الصبح بسرعة . يارب لا يحدث
شيء .

الإسنيين ١١١١ ماي :

جعان . أكلت سكر كثير جدًا . لعبت . أكتب في
(الكرائة) .

رسمت أرنوب وبطة في ورق طائط (كاميليا) .

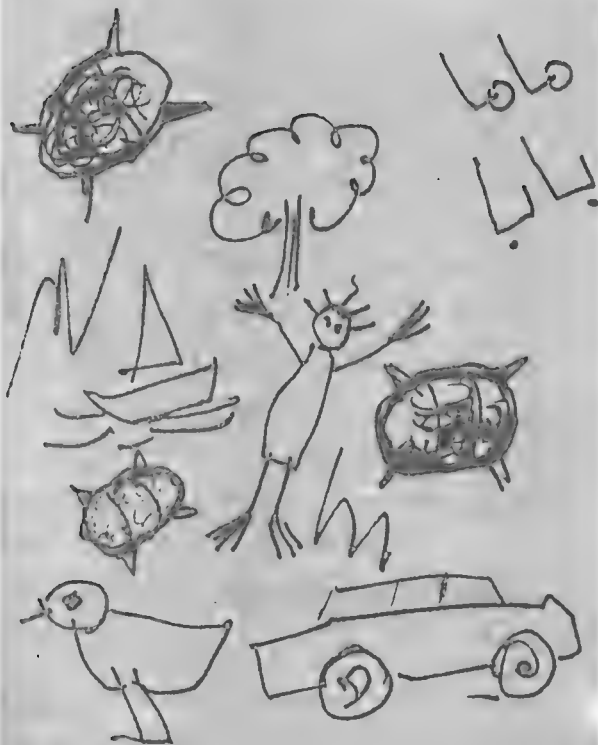
الكبار . جعان . يارب ييجوا .

الثلسا :

★ ★ ★



رسمت أرنبًا وبطة في ورق طانط (كاميليا) ..



نحو الزوال !

الجزء التالى كتيبه د. (كاميليا) أستاذ الفلسفة :

لم أكن أتوقع ولم أرغب قط فى أن يكون لى دور فى هذه القصة .. لقد جرح (رفعت) كبريائى بتعامله المستخف تجاه كتابى ، وأزعم أن فى سلوكه ما بدا لى درجة فاضحة من عدم النضج والخرق . والجواب على كل حال جاهز دائماً .. إنها المراهقة المتأخرة ..

وعلى كل حال أنا لم أر قط من (رفعت) ما يدحض اعتقادى بوجود خلل ما فى قواه العقلية . كانت لديه دوماً أعذار جاهزة بصددها المستنقع الميتافيزيقى الذى يعيش فيه ، حيث يتداخل عالما الواقع والخيال بشكل لا يمكن وصفه .

كنت أحتفظ بهذا اليقين حتى يوم الأربعاء الثالث عشر من مايو ..

فى التاسعة مساء كنت أقرأ بعض كتابات (برديانيف) حين دق جرس الهاتف ، وسمعت من يسألنى على استحياء إن كنت أنا الدكتورة (كاميليا) ..

هذا من يدعى (عزت) .. يبدو أنه رسام أو نحّات يعيش فى الشقة المجاورة لهذا الـ (رفعت إسماعيل) .. قلت له فى تصميم : إبنى غير راغبة فى سماع شىء عن ذلك الرجل غير المستقر انفعاليًا ، وبدالى من الوقاحة أن يعطيه (رفعت) رقم هاتفى كى يتوسط بالصلح . إنها طريقة سوقية صالحة لسوق الثلاثاء لكنها لا تناسبنى بالتأكيد .

قال لى هذا الـ (عزت) متوسلاً .

- « أريدك هنا حالاً .. الأمر خطير بحق .. »

- « وكيف عرفت رقم هاتفى ؟ »

- « وجدت فى مذكرات د. (رفعت) كلاماً عنك ، وبحثت فى دفتر الهاتف الخاص به حتى وجدت الرقم .. »

بدا لى الكلام خطيراً ، فلماذا يطلع (عزت) هذا على مذكرات (رفعت) ؟ ولماذا يفتش عن رقم هاتفى بنفسه .

وأنا مخلوقة وقتها ثمين وكرامتها أثمن ، لكننى وجدت نفسى مدفوعة دفعاً إلى ارتداء ثيابى ، وركوب أول سيارة أجرة قبلت أن توصلنى إلى دار (رفعت إسماعيل) . لقد وصف لى (عزت) العنوان بدقة .

وصعدت إلى شقته ، وقرعت الجرس ، ففتح لي الباب
رجل بادی المرض نحيل أسمر الوجه ، قدّم لي نفسه
أنه من يدعى (عزت) . إذن هذه شقة (رفعت) ؟
كنت أحسبه أكثر نظاماً ، لكنني صدمت إذ رأيت الأثاث
مبعثراً في كل صوب ، وقطع الحلوى تتناثر بقاياها
على الأرض ، والمياه تغرق السجادة ، وكتابة بالقلم
اتشبع على كل الجدران ..

وعلى أريكة في وسط الصالة ، كان رضيع صغير
لا يكف عن الصراخ والركل . وأدركت أن المسكين
عار تماماً لكن أحدهم قام بلفه كيفما اتفق في قميص
صوفى ..

- « أين (رفعت) ؟ ومن هذا الرضيع ؟ »

قال (عزت) وهو يرتجف رعباً :

- « إجابة السؤال الأول هي ذاتها السؤال الثاني ! »

★ ★ ★

- « آه .. فهمت .. وإبنى لشاكسة على هذه

الدعابة .. »

واستدرت قاصدة الباب ، عازمة على عقاب هذين
المهرجين بأسلوب لم أستقر عليه بعد ، لكن (عزت)
استوقفنى وجذبنى من كمى :

- « أرجوك أن تنتظرى كى تفهمى هذه الكارثة .. »

قلت فى شمم وأنا أحرر كمى :

- « لو فعلتها مرة ثانية ، فلسوف يكون حسابك

عسيراً .. »

« بدا عليه الخجل ، ومد لى يده بمفكرة صغيرة ،

وقال :

- « ها هى ذى مذكرات (رفعت) فى الفترة

الأخيرة .. أريد أن تجلسى وتقرئها ، ولسوف أقبل

حكمك بعدها .. »

- « بشرط أن تفتح باب الشقة .. »

رفع يديه فى استسلام ، وقال :

- « بل سأتركها وأنتظر فى شقتى حتى تقررعى

جرس بابى .. خذى راحتك » .

أشرت إلى الرضيع وقلت :

- « وهذا ؟ أليس جائعاً ؟ » .

- « لا أظن .. لقد أعطيتَه رضعة منذ ربع ساعة ..
لكنى بحاجة إلى أنثى لهذا السبب .. إن الرجال
لا يعرفون عن الرضع أكثر مما يعرفون عن حيوان
(التابير) .. »

- « وهل حيوان (التابير) يرضع ؟ » .

- « لا أدري .. لهذا اتصلت بك ! »

وغادر الشقة ، وأغلق الباب وراءه ..



وفى اللحظات التالية لم أستطع أن أقرأ ما دونه
(رفعت) وأنا جالسة . رحت أذرع الصالة كنمر
حبيس غير مصدقة .

لكن السطور كانت تتحدث عن نفسها ، وكانت
القصة ذاتها أعقد من أن يكون كتبها خصباً لخداعي .
وكان التغير فى الخط والأسلوب تدريجياً لكنه مخيف .
خط (رفعت) المنسق الواضح يتحول لخط صبى ثم يتحول
إلى خربشات طفل يعرف بصعوبة كيف يمسك بالقلم .

أفكاره تتحول من أفكار كهل ناضج إلى شاب على
شراء من الخرق ، إلى مراهق غرير ، إلى طفل ساذج
لعوب .

لقد أثار هذا القشعريرة في عروقي .

والسطور الأخيرة : سطور طفل وحيد لا يعرف
ما يعمل بنفسه ولا لماذا تخلق الكبار عنه . طفل جانع .
طفل يهاب الظلام . طفل بحاجة إلى أم .

كم هي قاسية !

ونظرت إلى الرضيع الغافل ، وقلت له بلهجة اللوم :
- « (رفعت) .. ماذا فعلت بنفسك يا أحمق ؟ ! »

★ ★ ★

وبعد ساعة قرعت باب الأستاذ (عزت) ، ففتح لي .
دعوته همساً إلى أن يلحق بي في شقة (رفعت) .

فلما أغلقنا الباب قلت له :

- « وكيف دخلت أنت ؟ »

قال وهو يتأمل الرضيع :

- « كما قرأت فى المذكرات ، كنت أتوقع شيئاً كهذا .. لهذا أصررت على الاحتفاظ بنسخة من المفاتيح .. واليوم عند العصر سمعت طفلاً يبكى فى الشقة ففتحتها ، ووجدت ابن ثلاثة أعوام يقف وحده مغطياً عينيه ، وهو لا يكف عن العواء ذعراً .. »

- « لحظة .. تعنى أنه كان راقداً ؟ »

اتسعت عيناه ذعراً وقال :

- « بل كان واقفاً .. أقول إن عمره كان ثلاثة أعوام عصر اليوم ! »
- « يا للهول ! »

ثم إننى قمت بترتيبات عملية كدأبى . أولاً لا جدوى من البقاء هنا لأن هذه ليست دارنا ، وإن بقاءنا هنا محلبة للأقاويل والأسئلة . سيكون على أن آخذ الرضيع إلى دارى حيث أعنى به .

ثانياً سيكون على الأستاذ (عزت) أن يحاول جهده كى يتصر بذلك المعالج الرومانى فى (نيويورك) . لو كان الرجل يعرف طريقة لوقف هذا التأثير المدمر فالوقت وقتها .

سألنى الأستاذ (عزت) :

- « ألا ترين الصواب أن نطلب رأى الطب ؟ »

- « لن يصدقنا أحد ، وسنضيع وقتنا ثمينا .. عامان ونصف فى ست ساعات .. معنى هذا أن الصباح لن يطلع إلا وقد تحول هذا البانس إلى نطفة ! »

لم تكن هناك مشاكل فى مغادرة البناية باعتبارنا أسرة صغيرة سعيدة .

وبعد ما تبادلت رقمى الهاتف مع الأستاذ (عزت) . حملت (رفعت) وعرجت على بعض المحال ، فابتعت ما يلزم : غيارات (لم تكن هناك حفاضات فى هذا الوقت) .. كوافيل .. علبة لبن مجفف ..

ثم استقلت سيارة أجرة إلى دارى حيث أعيش وحيدة .

وفى شقتى بدأت ممارسة مهمتى العسيرة . أنا لم أعتن برضيع من قبل لكنى خدشت القشرة الرفيعة التى تحيط بغرانزى ، فكانت تحتها امرأة كاملة .. أم تعرف كيف تعنى برضيع ..

إن الأمومة شيء غريزي لا نعلم .. وعلى حين
يضيع الطفل الذكر وقتَه في اللهو بالمسدسات والعربات .
تكون الطفلة عملية جداً : تنعب مع دميتها ، وتمشط
شعرها ، وتبدل ثيابها .. باختصار .. تمارس الأمومة
مراراً .

نزعت الثياب عن الرضيع وحمته بالماء الفاتر .
ربّاد ! إن الأمور تسوء بحق . لم تعد له تلك النظرة
الواعية المتابعة ، ولم يعد له ذلك التماسك العضلي
السابق ..

الآن بدأ يتحول إلى كتلة رخوة ، وصارت عيناه
زجاجيتين عاجزتين عن الحملقة في شيء ، وغدا
بكاؤه وانهاً أقرب إلى الصرير . هذا كله يميز حديثي
الولادة .

إن عمر (رفعت) الآن لا يزيد على شهرين بحال .

دثرته كيفما اتفق ، وأعددت له رضعة دافئة ، ثم
جلست أقمه إياها . ولدهشتي فطنت لحقيقة أن
(رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم الشهير ينام
بين ذراعي الآن ، وقد قمت بتحميمه كذلك ! لكني

لشدة العجب وجدت أنني أحب هذا الـ (رفعت)
أكثر . وأرتاح إليه .. يمكنني رعايته أعواماً طويلة لو لم
يتلاش بعد ساعات .

بعد ما هدا الصغير أخيراً ، وقد تلذذ بالدفء والشبع
حسب القوانين (الفرويدية) الصارمة ؛ فتحت المفكرة
ورحت أطلع ما كتبه بدقة أكثر .

وسرني أنه في ٢٤ أبريل جلس يقرأ كتابي وأحبه .
أنا أتق بنفسي كثيراً وأشعر أن الكتاب جيد . لكني برغم
هذا سررت أيما سرور حين عرفت أنه راق له حين
كان يتمتع بعقلية راجحة .

أما عن الكتاب ذاته فقد قمت بجمعه من شقته ،
وكان في كل مكان وقد رسمت على صفحاته كلها
تقريباً أرتاب ومناطيد وسيارات و (بطايط) . بعض
الصفحات تحولت إلى مراوح أو مراكب . يبدو أن
هذه الأخيرة قد تم عملها حين كان في سن العاشرة .
لكنني أعتقد أنه كان كاملاً .

ورحت أجوب صفحات المفكرة وعيناي على الرضيع
النائم ، الذي أوشك على القول إنني اراد وهو يصغر .

هنا دق جرس الهاتف فرفعت السماعة . كان هذا
الأستاذ (عزت) كما توقعت . وقال لى ما توقعت :
- « مستحيل أن أتصل بـ (نيوبيورك) .. لقد حاولت
كثيراً .. »

- « حاول ثانية .. إن الأمر صار جداً لا هزل فيه ..
إنه يزول .. »

- « سأحاول .. لكن الأمور ليست بهذه البساطة .. »
كنا فى تلك الأعوام التى وصلت فيها شبكة الهاتف
إلى نهاية عمرها ، وكان من المستحيل على المرء أن
يتصل ببيت أمه ، فما بالك بـ (نيوبيورك) ؟
وكان على من يريد الاتصال بالخارج أن يسافر إلى
(قبرص) ليتصل من هناك !^(*)

ورحت من جديد أطلع المفكرة فى قلق .
يوجد احتمالان لا ثالث لهما هنا : إما أن المعالج
الرومانى كان أحمق قليل التقدير للأمور ؛ وإما أن
(رفعت) قد نسى نصيحة معينة أو أنسيها فى غمرة
الاستهتار الذى اجتاح أفكاره .

(★) حقيقة .

بالتطبع لا يتعلق الأمر بشيء يتعاطاه (رفعت) بانتظام
طيلة الفترة الماضية ، لأنه لم يأكل شيئا منذ يوم
السبت ٩ مايو ، وبرغم هذا هو مستمر فى التلاشى .
الأمر يتعلق إذن بشيء أخذ فى أثناء المعالجة
أوزرع فيه من وقتها .
زرع فيه ؟

ومن جديد رحت أطلع الرسوم التى خطها حين فقد
قدرته على الكتابة . وحين تسربت (الأجرافيا) Agraphia
إليه كما تسربت أشياء كثيرة . إنه يرسم هذا الرسم بكثرة:



رأيته فى أوراقى فحسبته يرسم مناطيد ، ورأيته فى
آخر صفحتين من مذكرته . مال هذا الصبي والمناطيد
وكيف يعرفها أصلاً ؟ الجواب المنطقى أن هذا ليس
منطاداً إنما هو شيء آخر .

شيء يحاول البانس ، فى غمرة انزلاق الوعى ، أن
ينبهنا إليه .. شيء يكمن فيه خلاصه من هاوية العدم ..
لقد راح يرسمه مراراً بعد ما عجز عن كتابته ، لم
يجد الكلمات ليقولها .

رحت أتأمله نائماً ، ثم أتنى حملته إلى غرفة النوم ،
لشد ما خف وزنه حتى لأحسبه لا يزيد على أربعة
كيلوجرامات .

نزعت ثيابه تماماً وهو يحتج في وهن . ثم رحت
أتحسس جسده الصغير بحثاً عن شيء ما ، علامة ما ،
لم أعرف قط أن لـ (رفعت) أصابع قدم مبتورة .

في النهاية شعرت به ، على لوح كتفه الأيمن شيء
بارز في حجم ظفر الإبهام ، تأملته بعناية فوجدت أنه
مدفون هناك تحت الجلد وكان ينزلق في أربعة
الاتجاهات .

أرحت الرضيع على ساعدي لتأمل الشيء بشكل
أدق ، كان هناك جرح صغير ملتئم طوله نحو نصف
السنติเมตร ، جرح نظيف كالذي يتخلف عن الجراحات ،
أما الشيء البارز فكان له ملمس على شيء من الصلابة
كأنه أرنية الأنف ، وكان ينزلق بسهولة تامة .

شعرت بما يشبه اليقين أن هذا الشيء تم فتح جلد
(رفعت) وزرعه هناك ، كما يفعلون بحبيبات منع
الحمل التي تزرع تحت جلد الساعد .



نزعت ثيابه تمامًا وهو يحتاج في وهن . ثم رحت أتحسس
جسده الصغير بحثًا عن شيء ما ، علامة ما ...

وكان موقفى عسيراً بحق .

لو أننى أخذت الرضيع الآن فلن أجد طبيباً جراحاً فى هذه الساعات الأولى من فجر الخميس ، ولو هرعت إلى طوارئ إحدى المستشفيات فلن يصدقنى أحد ، إن كل شىء يمكنه الانتظار إلى الصباح .

أما لو كنت مخطئة وكان هذا الانتفاخ كيساً دهنياً ، أو شيئاً لا أعلمه من الأشياء التى يكسب الأطباء عيشهم من معرفتها ؛ فمن العسير تبرير أن أحاول أنا نفس انتزاع هذا الشىء .

قررت أن أتبع حدسى وهو ما لم أعتده من قبل ، لقد اعتدت أن أتبع عقلى ومنطقى ، لكن هذا الموقف يتحدى كل عقل وكل منطق ، ولا ينفع فيه أن أكون حاصلة على الدكتوراه فى الفلسفة ، إن هذا لا يجعلنى أكثر فهماً للموقف .

توكلت على الله (تعالى) ، وذهبت إلى المطبخ فانتقيت سكيناً صغيرة . ثم قمت بتسخينها للتطهير على نيران الموقد . وانتظرت حتى بردت . ثم عدت إلى الرضيع وقلبتة على بطنه . وبطرف السكين بدأت شق الجلد فوق الجسم الصلب . بالضبط على لوح كتفه الأيمن .

أَن الرضيع وتأود ، لكنه كان أضعف من أن يقاوم
أو يصرخ ، وسال الدمع من عيني وسال من أنفى ،
ورحت أردد كالمجنونة :

- « سامحنى يا بنى .. سامحنى ! »

إنها لمهمة عسيرة تقتضى قلباً أغلظ وأقسى منى ،
لكن كان على أحد أن يقوم بها ، وأخيراً - وسط
الدماء - تمكنت من سقّ جرح طوله بضعة ملليمترات ،
واعتصرت الجسم الصلب محاولة إخرجه .

لم يكن الجرح كافياً فقامت بتوسيعه أكثر ، وأنا
أغمغم :

- « سامحنى يا بنى .. لقد انتهيت تقريباً .. الله !

كم أنت شجاع ! رجل صغير شجاع .. هلم ! »

واعتصرت الجسم الكريه ثانية ، فانزلق إلى الخارج
أخيراً .. وحين رأيته حمدت الله على صدق حدسى ،
كان جعراً ، فرعونياً حقيقياً محنطاً ، هكذا حاول
الصغير أن يرسمه فبدأ كمنطاد .

وضعت الشيء الرهيب على الملاءة التى تلوثت
بالدم ، ثم رحت أحاول أن أضمد الجرح ، وضعت
عليه بعض البنّ (ويبدو أنها ليست طريقة طبية

فعالة ، لكن أُمى كانت تمارسها معى . وكانت تنجح) .
ثم وضعت بعض الشاش وانشريط اللاصق كيفما أنفق .
لحسن الحظ أن ذاكرة الرضع لا تحتفظ بشيء ،
ولحسن حظي أنهم لا يملكون حقدنا وتذكرنا الإساءات ..
لقد بكى قليلاً ثم استكان ونام فى حضنى ، فدثرته
بثيابه ، وأخذته إلى الصالة وأنا أهدهد ، وقد أمسكت
الجعران بقطعة من الشاش ..

وتحسست الجرح فوجدته قد كفَ عن النزف ، غداً
صباحاً سأخذه إلى طبيب كى يعنى به كما ينبغى ..
هذا لو ظل (رفعت) موجوداً حتى الصباح .



كان الفراعنة يجلسون الجعران إجلالاً شديداً ،
ويطلقون عليه اسم (خبرر) وهى لفظة معناها
(يتجسد من جديد) ، لقد كان يثير دهشتهم حين
يدفع أمامه كرة تحمل مادة التخصيب ، متجهاً من
الشرق إلى الغرب ، وهو ما ذكرهم بحركة الشمس
الأزلية .

وجد الفراعنة أن الجعران يرمز لتجدد الحياة
باستمرار وبشكل تلقائي ، وإن عدد صور الجعارين على
أختامهم وخواتمهم ليثير دهشة كل مهتم بالمصريات ،
لقد أصدروا كذلك جعارين تاريخية تسجل المناسبات
المهمة للدولة ، بنفس المنطق الذي تصدر به نحن
الطوابع التذكارية ، وكانت توضع بين أكفان الموتى
أو توضع في توابيتهم ، وبصفة خاصة نرى جعران
القلب المصنوع من حجر صلب وله جناحا صقر ،
كان المطلوب من هذا الجعران أن يلقن قلب المرء
السلوك الأمثل لحظة الحساب ، لهذا كتبوا عليه :

- « يا أوفى جزء في كياني ، لا تقف شاهداً ضدي
أمام المحكمة .. »

التجدد المستمر ، هذا هو ما يرمز له الجعران ، أنا
لا أفهم أية معالجة مشنومة مرّ بها هذا الجعران
المحنت قبل أن يزرع تحت جلد (رفعت إسماعيل) ،
لكنني أعتقد أن الأمور منطقية ويمكن ترتيبها ترتيباً
عقلانياً صارماً .

لقد انتزعت الجعران ، فهل يتوقف تأثيره ؟

★ ★ ★

وفى الصباح بدا لى أن الرضيع لم يصغر أكثر ، وإن لم يكن قد تقدم فى السن قليلاً ، وعند الظهيرة كان يمشى مترنحاً فى الشقة ويسقط من حين لآخر فيبكى ، ثم ينسى الأمر ويبعثر حاجياتى ، ويجذب المفارش من تحت المزهريات ، وبدأ يقول : « مم ! با ! » .

لقد كنت على حق .

وهكذا عشت أروع تجربة يراها إنسان حى فى اليومين التاليين ، أن أربى طفلاً يكبر أمام عيني بسرعة تسمح لى برويتها !

كان ينضج بسرعة ، ويتعلم .. وكان سرورى بالغاً حين استعاد القدرة على الإمساك بالقلم - عصر اليوم الأول - ثم استطاع أن يكتب اسمه عند المساء .

وحين صحت فى اليوم الثانى من النوم ، كان فى العاشرة من عمره تقريباً ، أمس تساقطت أسنانه اللبنية وبدأت الأسنان الدائمة تظهر اليوم صار قادراً على مناقشتى وقراءة الجريدة .

كان ينادينى باسم (كاميليا) .. دون ألقاب ، هذا طبيعى ما دام لا يعتبرنى أكبر منه سناً ، ولم يتساعل قط عن كنه ما حدث له .

وفى اليوم الثالث كان مراهقاً بدأ شعر وجهه ينمو ،
واخشوشن صوته كثيراً ، وكان هذا هو الوقت الذى
قررت فيه أنه قادر على العناية بنفسه .

لم يعد له (رفعت) مكان فى دارى ، وحن الوقت
كى يعود مع (عزت) إلى شقته ، لكن هناك سؤالاً
مهماً ، ما زال يقلقتنى : هل يتوقف عن النمو حين
يصل إلى السن التى بدأ التجربة فيها ؟ أم هو مستمر
بلا توقف لكل شيء فى هذه التجربة الحمقاء ؟

★ ★ ★

الخاتمة

مرحباً بكم ..

هذا أنا (رفعت إسماعيل) من جديد .. بعد أسبوع
قضيته متوارياً عن العيون فى دار (عزت) ، وبعد
ما تحمل المسكين نزقى المراهق ، ثم شبابى اللامبالى ،
مروراً بكهولتى الكئيبة ..

أخيراً يمكننى أن أقول إننى هو أنا .. بعقلى السابق
وشخصيتى السابقة ، و - للأسف - أمراضى السابقة
ذاتها ..

فى أسبوع واحد تساقط شعر رأسى ، وكثرت
تجاعيدى ، وارتفع ضغط دمى .. كان (عزت)
مذهولاً لكنه لم يملك إلا أن يصدق ..

وقد لاحظت أن البقع البنية تكاثرت على ظهر يديّ ،
وهى علامة على الشيخوخة لم تكن لدىّ ، فأدركت أن
الجعران - ذلك الأحق - اختلس بضع سنوات من

عمرى .. إن الدقة تنقصه . وأنا طيلة حياتى أمقت
الجعارين غير الدقيقة ..

ما علينا ..

نحسن الحظ لم تستمر اللعبة بى إلى حد أن أبلغ
سن الستين فالسبعين فالمانه ، ثم أموت بالشيخوخة
خلال أسبوع .. كان هناك حد توقفت عنده اللعبة ..

وقلت لـ (عزت) وأنا أفتح باب شقتى ، مأخوذاً
بالفوضى التى صنعها الطفل (رفعت) حين كان
وحيداً ..

- « تباً ! إبنى سأحتاج إلى أسبوع كى أعرف أين
كان الحمام .. »

ابتسم وقال :

- « أم (سعد) قادمة لإتقائك غداً .. »

قلت وأنا أجمع بعض الأوراق المبعثرة :

- « كان الخطأ خطئى .. لقد أنذرنى الروماتنى بعد
ما زرع الجعران تحت جلدى .. قال لى إن على أن

. أترك رسالة لدى قريب أو صديق لى ، تخبره
بالقصة كلها وكيفية إيقاف مفعول العلاج ، فى حالة
ما إذا زاد الأمر عن حده ..

« المشكلة هى أننى اتبهرت فى البداية بصحتى
المستعادة ، ونسيت تماماً أن أخبركم .. ثم جاء استهتار
المراهقة الذى جعلنى لا أبالى بأن أخبركم .. فقط فى
مرحلة الطفولة كنت أذكر أشياء ضبابية عن شيء
يشبه الجعران ، وشعرت أن على إبلاغكم بشكل ما ..
بالرسوم مثلاً .. هذا يذكرنى بفيلم (فانتازيا) أول
فيلم ظهر فيه (ميكى ماوس) .. لقد راقب (ميكى)
الساحر وهو يستعمل عصاه ، ثم قرر أن يجربها
بدوره .. علّم المكاس كيف تنقل دلاء الماء وتسكبها
على الأرض ، ثم نام (ميكى) ونسى تماماً أن يوقف
هذه العملية .. وحين صحا من النوم كان الماء قد
وصل إلى عنقه »

وربّت على كتف (عزت) وقلت :

- « كانت الوخدة تمزقتى ، ولم أدر أنك و (كاميليا)
صديقان مخلصان يمكننى أن أترك لهما رقبتى .. »

اسود وجهه فى تواضع ، وقال :

- « المهم أن تكون قد تعلمت شيئا .. إن أفضل
سن قد تكون هى سنك الحالية .. ربما فقدت بعض
الصحة لكنك اكتسبت كثيراً من الحكمة وحب واحترام
الآخرين .. »

قلت وأنا أفتح نوافذ الشقة :

- « وتعلمت كذلك ألا أثق بالسحرة الرومانيين ،
ولا أسمح لهم بدس جعارين تحت جلدى .. كما
تعلمت أن أقرأ كتب الآخرين بمجرد أخذها ،
وألا أتحدى سائقى السيارات الرياضية حين يكون
هناك كثير منهم ، وألا أقذف رسائل غرامية لبنت
الجيران ، وألا أبلى أريكة الصالة فى شقة (كاميليا)
لأن هذا يجعلها تجن ! »

★ ★ ★

وهكذا انتهت أسطورة تختلف ..

★ ★ ★

فى القصة القادمة نلقى الكاهن الأخير (هن - نشو -
كان) أخيراً وبعد غياب ، ولسوف يتعلق الموضوع
بحفائر سرية يجرونها بحثاً عن لغز من الغاز
التاريخ ..

لكن هذه قصة أخرى .



د. رفعت إسماعيل

(القاهرة)

روايات مصرية الحبيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- 1 - أسطورة مصاص الدماء .
- 2 - أسطورة النداهة .
- 3 - أسطورة وحش البحيرة .
- 4 - أسطورة أكل البشر .
- 5 - أسطورة الموتى الأحياء .
- 6 - أسطورة رأس ميدوسا .
- 7 - أسطورة حارس الكهف .
- 8 - أسطورة أرض أخرى .
- 9 - أسطورة لعنة الفرعون .
- 10 - أسطورة حلقة الرعب .
- 11 - أسطورة الكاهن الأخير .
- 12 - أسطورة البيت .
- 13 - أسطورة اللهب الأزرق .
- 14 - أسطورة رجل الثلوج .
- 15 - أسطورة النبات .
- 16 - أسطورة النافاراي .
- 17 - أسطورة حسناء المقبرة .
- 18 - أسطورة الغرياء .
- 19 - أسطورة يو .
- 20 - حكايات التاروت .
- 21 - أسطورة عدو الشمس .
- 22 - أسطورة المينوتور .
- 23 - أسطورة رعب المستنقعات .
- 24 - أسطورة إيجور .
- 25 - أسطورة الجنرال العائد .
- 26 - أسطورة المواجهه .
- 27 - أسطورتنا .
- 28 - أسطورة آخر الليل .
- 29 - أسطورة الجاثوم .
- 30 - أسطورة بعد منتصف الليل .
- 31 - أسطورتها .
- 32 - أسطورة رفعت .
- 33 - أسطورة أرض المغول .
- 34 - أسطورة الشاحيين .
- 35 - أسطورة دماء دراكيولا .
- 36 - أسطورة الفصيلة السادسة .
- 37 - أسطورة الدمية .
- 38 - أسطورة النصف الآخر .
- 39 - أسطورة التوءمين .
- 40 - وراء الباب المغلق .
- 41 - أسطورة فرانكنشتاين .
- 42 - أسطورة الكلمات السبع .
- 43 - أسطورة تختلف .

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

- | | |
|------------------------|--------------------------|
| 12 - بين عالمين . | 1 - قصة لا تنتهى . |
| 13 - رجل من كريبتون . | 2 - حكايات من والاشيا . |
| 14 - من بعد سوبرمان . | 3 - صفر... صفر... سبعة . |
| 15 - إعدام فى البرج . | 4 - إمبراطورية النجوم . |
| 16 - شبح وشيطان . | 5 - ذات مرة فى الغرب . |
| 17 - اقتلوا بطوط . | 6 - خيول ورماح . |
| 18 - توم ومن معه ! | 7 - ألعاب إغريقية . |
| 19 - خمسة منهم ! | 8 - مملكة الموتى . |
| 20 - من فعلها ؟ | 9 - الخناقون . |
| 21 - لا تدخلوا شيرود . | 10 - الاسم شكسبير . |
| | 11 - نداء الادخال . |

رقم الإيداع : ١٦٠٦

المطبعة العربية الحديثة

١٠,٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥٤